الثراء الدلالي

لصيغتي المشاركة (المفاعلة والتفاعل) في القرآن الكريم

دراسة بلاغية تحليلية

إعـداد

أ.د/ لطفي خالد محمود الجوهري

أستاذ البلاغة والنقد المساعد

في كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين

فرع جامعة الأزهر بالديدامون

١٤٤٤هـ- ٢٠٢٢م

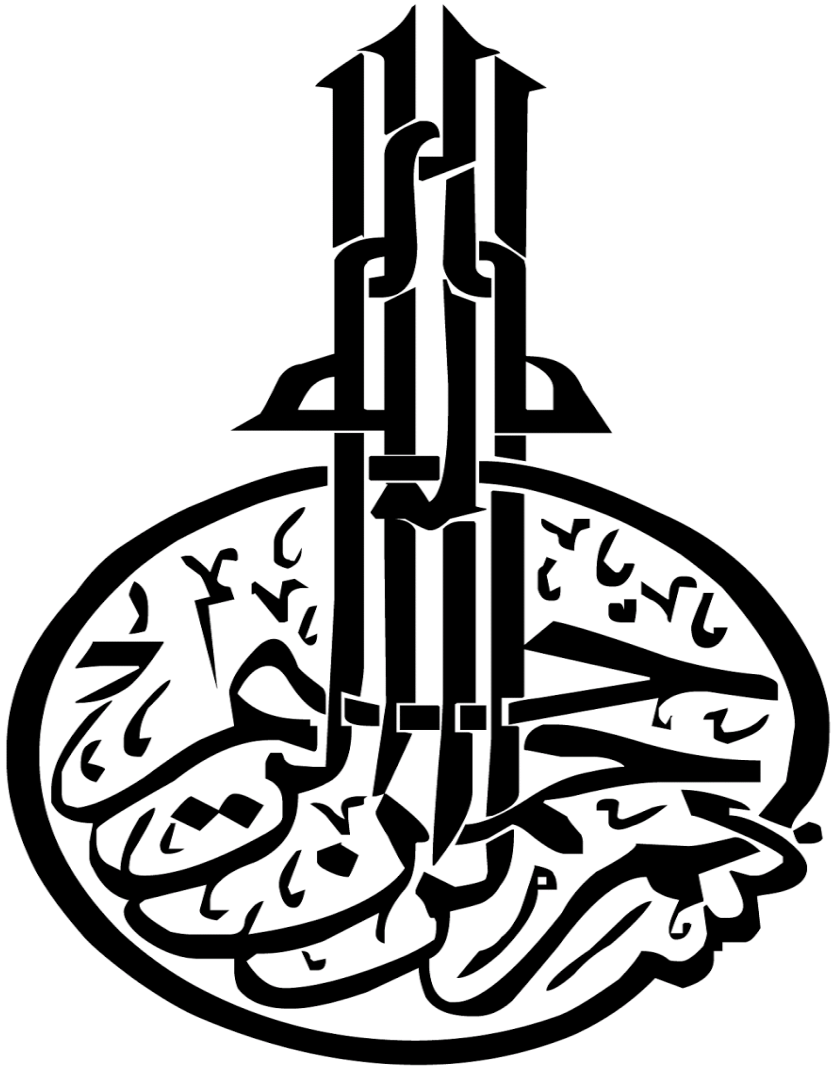

الثراء الدلالي لصيغتي المشاركة (المفاعلة والتفاعل) في القرآن الكريم
دراسة بلاغية تحليلية

لطفي خالد محمود الجوهري
قسم الأدب والنقد /كلية اللغة العربية بالمنوفية/ جامعة الأزهر الشريف / مصر
قسم البلاغة والنقد كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين- بالديدامون- شرقية.جامعة الأزهر
البريد الإليكتروني:
LotfiElGohary.sh.b@azhar.edu.eg

ملخص البحث

(المفاعلة والتفاعل) صيغتان جاءتا في القرآن الكريم في مواضع كثيرة، والمتأمل تلك المواضع يجد أنهما ذواتا دلالات متعددة، وقد رأىٰ الباحث أن يتتبع دلالاتهما المختلفة في تلك المواضع، ويجمع تلك الدلالات، ويعرضها في ذلك البحث ليقف القارئ الكريم علىٰ ثرائهما الدلالي، بل إن المتأمل ليجد أنهما قد تدلان علىٰ أكثر من دلالة في الموضع الواحد، وكل دلالة من تلك الدلالات تكشف معنىٰ مستورا غائما يحتاج لمزيد نظر وإمعان فكر وطول تدبر، لذا يممت وجهي نحوها علها تنظر إليّ ولو بطرف خفي. وقد جاءت مباحث هذا البحث لتفرد لكل دلالة من دلالات هاتين الصيغتين مبحثا خاصا، وتقف معها وقفة متأنية كاشفة ومبينة عنها مع ذكر شواهد لها من القرآن الكريم وتحليلها، ومن ثم فقد جاء المبحث الأول ليقف مع التعبير بهاتين الصيغتين للدلالة علىٰ حصول الفعل من فاعلين حقيقة وما قد ينوىٰ وراء ذلك من إشارات، ثم جاء المبحث الثاني ليقف مع التعبير بهاتين الصيغتين الثريتين للدلالة علىٰ المشاركة الحكمية الاعتبارية

وما قد ينطوي وراء ذلك من إشارات، ثم جاء المبحث الثالث ليقف مع التعبير بهاتين الصيغتين للدلالة علىٰ التمثيل وكيف تستطيعان أن تقوما مقام تركيب كامل ذي أجزاء متعددة بالرغم من أن كل واحدة منهما كلمة مفردة، ثم جاء المبحث الرابع ليقف مع التعبير بهاتين الصيغتين مع أن الفاعل واحد وما قد ينطوي وراء ذلك من إشارات. ثم جاءت الخاتمة لتعرض أهم ما توصل إليه الباحث من نتائج كان أهمها أن صيغ المشاركة من الصيغ الممتلئة ذات الثراء الدلالي. ومنهج تلك الدراسة: المنهج الوصفي التحليلي.الكلمات المفتاحية: (صيغ المشاركة – المفاعلة –التفاعل).

The semantic richness of the two forms of participation (interaction and interaction) in the Holy Qur'anRhetorical Analytical Study

Lotfi Khaled Mahmoud El Gohary
Department of Rhetoric and Criticism, College of Islamic and Arabic Studies for Boys - Didamon - Oriental.Al Azhar university.
The Egyptian Arabic Republic
E- mail: lotfiELGohary.sha.b@azhar.edu.eg

Abstract:

(Interaction and interaction) are two forms that came in the Noble Qur'an in many places, and the contemplator of these places finds that they have multiple connotations. The contemplator finds that they may indicate more than one indication in one place. And each of these indications reveals a hidden, cloudy meaning that needs more consideration, careful thought, and lengthy contemplation, so I turn my face towards it, hoping that it will look at me, even with a hidden side. The topics of this research came to the uniqueness of each of the connotations of these two formulas in a special topic, and stands with it a careful, revealing and clarified pause with mentioning evidence for it from the Holy Qur'an and analyzing it. Hence, the first topic came to stand with the expression in these two formulas to indicate that the action takes place from real actors and the signs that may be intended behind that, then the second topic came to stand with the expression in these two rich formulas to indicate the juridical legal participation and the signs that may be behind that. Then the third topic came to stand with the expression in these two forms to indicate representation and how they can take the place of a complete structure with multiple parts even though each of them is a single

word, then the fourth topic came to stand with the expression in these two forms although the subject is one and what may be behind that. signals. Then the conclusion came to present the most important findings of the researcher, the most important of which was that the participation formulas are among the filled with semantic richness. The method of this study: the descriptive analytical method.

Keywords: Building forms - Participation forms - Interaction - Interaction - Judgmental participation.

المقـــدمـــة

الحمد لله الذي أنزل علىٰ عبده الكتاب بأفصح لسان، والصلاة والسلام علىٰ أفصح من نطق بالضاد من بني معد وعدنان سيدنا محمد – ﷺ – وعلىٰ آله وأصحابه الأئمة الأعيان، ومن سار علىٰ نهجهم، واقتفىٰ أثرهم بإحسان .

وبعـــــــد:

فصيغ الأبنية كثيرة ومتعددة، منها ما يفيد المشاركة، ومنها ما يفيد المطاوعة، ومنها ما يفيد الطلب، إلىٰ آخر ما تفيده صيغ الأبنية من معان، ولقد اهتم أئمة اللغة بها، وفرقوا بينها، وتتبعوا استعمالاتها .

ولا شك أن المتكلم حينما يعمد إلىٰ صيغة منها فإنه يرمي لمعنىٰ يقصده، وقديما قالوا:زيادة المبنىٰ تدل علىٰ زيادة المعنىٰ[1]، يقول العلامة ابن جني: " إذا كانت الألفاظ أدلة المعنىٰ، ثم زيد فيها شيء أوجبت القسمة له زيادة المعنىٰ به ." [2]

ومن بين تلك الصيغ المتعددة نجد صيغ المشاركة تبرز بروزا واضحا، وتمتاز بثرائها الدلالي وعطائها الغزير في المقامات المتعددة، وقد أثارت الباحث لدراستها والوقوف علىٰ معانيها ؛ لذا جاء البحث تحت عنوان

(١) شرحا أبي العلاء والخطيب التبريزي علىٰ ديوان أبي تمام دراسة صرفية المؤلف / إيهاب عبد الحميد عبد الصادق سلامة ص/ ٢١١ رسالة ماجستير –كلية دار العلوم – جامعة القاهرة بإشراف د/ محمد جمال صقر .

(٢) الخصائص لأبي الفتح عثمان بن جني الموصلي ٣/ ٢٧١ الهيئة المصرية العامة للكتاب الطبعة الرابعة .

(الثراء الدلالي لصيغتي المشاركة (المفاعلة والتفاعل) في القرآن الكريم دراسة بلاغية تحليلية).

ويمكن أن نوجز أهم الأسباب التي حدت الباحث إلى خوض غمار هذا البحث فيما يأتي:

(١)ما في هذا البحث من غموض ودقة .

(٢)دراسة صيغتي المشاركة (المفاعلة) و(التفاعل) دراسة متأنية تبين عن ثرائهما الدلالي .

(٣)صيغ المشاركة بالرغم من أنها ألفاظ مفردة إلا أنها تدل علىٰ متعدد، وتلك خاصية تميزها من غيرها من صيغ الأبنية الأخرىٰ .

❁ **خطة البحث:**

هذا، وقد اقتضت طبيعة البحث أن يأتي في مقدمة، وتمهيد، وأربعة مباحث، وخاتمة، وفهارس .

ففي المقدمة: ذكرت أسباب اختيار الموضوع، وخطة الدراسة، ومنهج البحث .وفي التمهيد: عرفت بصيغتي المشاركة موضوع الدراسة (المفاعلة)، و(التفاعل) وما تفيدان من معنىٰ حقيقي وضعتا للدلالة عليه .

المبحث الأول: التعبير بصيغتي المشاركة (المفاعلة والتفاعل) للدلالة علىٰ حصول الفعل من فاعلين حقيقة.

المبحث الثاني: التعبير بصيغتي المشاركة (المفاعلة والتفاعل) للدلالة علىٰ المشاركة الحكمية الاعتبارية .

المبحث الثالث: التعبير بصيغتي المشاركة (المفاعلة والتفاعل)للدلالة علىٰ التمثيل .

المبحث الرابع: التعبير بصيغتي المشاركة(المفاعلة والتفاعل) والفاعل واحد للدلالة علىٰ المبالغة في حصول الفعل.

الخاتمة: وقد اشتملت علىٰ أهم نتائج تلك الدراسة .

الفهارس: واشتملت علىٰ:

(١)ثبت المصادر والمراجع .

(٢)فهرس الموضوعات .

❁ **منهج الدراسة:**

اتبع الباحث المنهج الوصفي التحليلي .

هذا، ﴿ وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ [سورة هود:٨٨].

وصل اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

❁❁❁❁❁

التمهـــــيد

صيغتا المشاركة (المفاعلة) و(التفاعل) ودلالتهما

والمشاركة معناها: أن يشترك فاعلان فأكثر في فعل معين، ولذلك المعنىٰ صيغ كثيرة قد وضعت للدلالة عليه، أهمها صيغتان:

الأولى: صيغة (فاعل)، ومصدرها:الفعال، والمفاعلة .

الثانية: صيغة (تفاعل)، ومصدرها (التفاعل) .

(أ)دلالة صيغة (فاعل) على معنى المشاركة:

ومعنىٰ ما جاء علىٰ تلك الصيغة من الأفعال، وما جاء علىٰ مصدره (الفعال) و(المفاعلة) الدلالة علىٰ المشاركة بين اثنين فأكثر، ولذا قيل:"و(فاعل) لنسبة أصله إلىٰ أحد الأمرين متعلقا بالآخر للمشاركة صريحا، فيجئ العكس ضمنا، نحو: ضاربته، وشاركته ."[1]

ويقصد من هذا أنه إذا قال قائل: **ضارب زيد عمرا**، أفادت صيغة (فاعل) هنا صراحة الدلالة علىٰ نسبة الضرب لزيد، وتعلق هذا الضرب بعمرو للمشاركة بينهما، وأفادت العكس ضمنا أي: نسبة الضرب لعمرو، وتعلقه بزيد للمشاركة بينهما .

فالمشاركة المدلول عليها بتلك الصيغة معناها أن يشترك اثنان فأكثر في فعل معين بحيث يفعل أحدهما بصاحبه فعلا، فيقابله الآخر بمثله، وحينئذ ينسب للبادئ نسبة الفاعلية، وللمقابل نسبة المفعولية .[2]

والمتأمل صيغة (فاعل) يجد أنها تفيد مع المشاركة معاني أخري وهي:

---

(١) الشافية في علمي التصريف والخط لعثمان بن عمر بن أبي بكر يونس أبو عمرو جمال الدين ابن الحاجب الكردي المالكي ص/ ٦٣ المحقق الدكتور/ صالح عبد العظيم الشاعر مكتبة الآداب الطبعة الأولي ٢٠١٠ م .

(٢) ينظر شذا العرف في فن الصرف تأليف / أحمد بن محمد الحملاوي ص/ ٣١،٣٠ المحقق / نصر الله عبد الرحمن نصرالله مكتبة الرشد – الرياض .

(١)أنها تدل على البادئ بالفعل:

فعندما تسند المفاعلة لأحد فاعليها كان المقصود أنه هو البادئ بالفعل[١]، فإن قيل: **خاصم زيد عمرا**، كان المعنىٰ: أن زيدا هو البادئ بالمخاصمة لعمرو، ومعناه أيضا أن عمرا اشترك معه فيها فبادله مخاصمة بمثلها .

(٢) المغالبة:

كما أن تلك الصيغة تفيد معنىٰ المغالبة ومعناها: وقوع الفعل من فاعلين، وكل واحد منهما يريد أن يغالب صاحبه فيه، فإن قال قائل: جاذب عمرو زيدا الثوب، دل ذلك علىٰ أن كل واحد منهما يريد أن يغالب صاحبه في جذب الثوب كي يحصل عليه ويستأثر به .

(٣)التكرار:

من شأن تلك الصيغة أن تدل علىٰ تكرار الفعل، لأن المشاركة تقتضي وقوع الفعل بين اثنين، فالفعل وقع من كل مهنما، فكان التكرار .

(ب) دلالة صيغة (تفاعل) على المشاركة:

الأصل أن يجئ بناء (تفاعل) للدلالة علىٰ المشاركة نحو: تخاصما، وتعاركا، وتناقش، وتبارىٰ، وغيرها، فإن قيل: تعارك زيد وعمرو، كان المعنىٰ: أن زيدا وعمرا قد اشتركا في العراك، ونسب هذا الفعل إليهما .[٢]

(١) ينظر شذا العرف ص / ٣٠

(٢)ينظر السابق ص/ ٣١

الفرق بين صيغة (فاعل) وصيغة (تفاعل) في الدلالة على المشاركة :

والفرق بين هاتين الصيغتين من حيث اللفظ أن وضع (فاعل) لنسبة الفعل إلىٰ الفاعل متعلقا بغيره مع أن الغير مثل ذلك، فإن قيل: نافس زيد عمرا، كان معناه نسبة المنافسة إلىٰ زيد مع أن عمرا قد اشترك مع زيد في المنافسة أيضا .

أما وضع (تفاعل) فلنسبة الفعل إلىٰ أمرين مشتركين في ذلك الفعل من غير قصد إلىٰ تعلقه بغيره، فإن قيل: تسابق زيد وعمرو، كان معناه: أن زيدا وعمرا قد اشتركا في المسابقة، ونسب هذا الفعل إليهما صراحة .

وفي (فاعل) يرفع بالفعل ما ينسب إليه صريحا، وينصب المتعلق، فيقال: قاتل زيد عمرا، أما في (تفاعل) فيرفعان معا بطريق العطف فيقال: تقاتل زيد وعمرو .

ومن حيث المعنىٰ: بادئ الفعل في (فاعل) معلوم دون (تفاعل)، ولذلك يقال: ضارب زيد عمرا، وضارب عمرو زيدا، بطريق الإنكار، ولا يقال ذلك في تضارب .[1]

❁❁❁❁❁

(١)ينظر شرحان علىٰ مراح الأرواح في علم الصرف لشمس الدين أحمد المعروف بديكنقوز صاحب (شرح مراح الأرواح) ، وابن كمال باشا صاحب (الفلاح في شرح المراح) ص/ ٢٠مكتبة ومطبعة مصطفىٰ البابي الحلبي وأولاده – بمصرالطبعة الثالثة:١٣٧٩ هـ/ ١٩٥٩م .

المبحث الأول:

التعبير بصيغتي المشاركة (المفاعلة والتفاعل) للدلالة على حصول الفعل من فاعلين حقيقة

هذا هو الأصل الذي وضعت له صيغ المشاركة، وهو الدلالة علىٰ أن الفعل قد اشترك فيه فاعلان، وقد جاءت صيغ المشاركة في القرآن الكريم ودلت علىٰ حصول الفعل من فاعلين حقيقة، وكان للتعبير بها كثير من الإيحاءات والإشارات، ومن ذلك قول الله تعالىٰ: ﴿ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنۡهُمۡ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهۡدَهُمۡ فِي كُلِّ مَرَّةٖ وَهُمۡ لَا يَتَّقُونَ ﴾ (١)

تخبرنا هاتان الآيتان عن عادة ذميمة من عادات بني إسرائيل ألا وهي نقض العهد والميثاق، ولذا استحقوا أن يوصفوا بأنهم شر الدواب ؛ لأن الذي لا يبالي بما يجلبه الغدر من عار وخزي في الدنيا، وبما يستوجبه من عقاب شديد وفضيحة علىٰ رءوس الأشهاد يوم القيامة لا شك أنه شر المخلوقات وأشدها خسة وضعة .

وقد جاء التعبير بلفظ (الدواب) دون الناس لتعم الناس وسائر الحيوان لاستيفاء المذمة، إذ ساوىٰ بينهم وبين سائر البهائم، وجعلهم من جنسها، ثم جعلهم شرها .

وجاء التعبير بلفظ (عاهدت) علىٰ صيغة المشاركة للدلالة علىٰ حصول المعاهدة من جانب رسول الله – ﷺ –، وجانب اليهود – لعنهم الله – إذ التزم كل فريق أمام الآخر ألا يعين عليه عدوا، وأن يأمن جانبه .

---

(١) سورة الأنفال الآيتان (٥٥،٥٦)

وجاء إسناد المعاهدة لضمير النبي -ﷺ- إشارة إلىٰ كونه صلوات الله عليه هو البادئ بها، والساعي إليها رغبة منه أن ينعم الجميع بالأمن والأمان والسلام والاستقرار.

ومن ذلك أيضا قول الله تبارك وتعالىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (١)

تخبرنا تلك الآية عن بيعة النساء للنبي -ﷺ- ثاني يوم الفتح علىٰ جبل الصفا (٢) وقد أمر النبي - ﷺ - بأنه إذا جاءه المؤمنات يعطينه العهد من أنفسهن بأن لا يشركن بالله شيئا، ولا يسرقن، ولا يزنين، ولا يقتلن أولادهن، ولا ينسبن كذبا ولدا لأزواجهن ليس منهم، ولا يعصينه فيما يأمر به، فليبايعهن ويستغفر لهن الله المتصف بالغفران والرحمة

وجاء التعبيربلفظ (المبايعة)بصيغة المفاعلة الدالة علىٰ المشاركة الحقيقية ؛لأن النساء ارتضين الالتزام بما قطعه الله عليهن رسول الله - ﷺ - وأمضىٰ النبي -ﷺ- صفقة الإيمان بالوعد بالثواب علىٰ ذلك ما كن قائمات بمقتضىٰ تلك البيعة .(٣)

---

(١) (سورة الممتحنة آية (١٢)

(٢) ينظر المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي ٥/ ٢٩٩المحقق / عبد السلام عبد الشافي محمد دار الكتب العلمية - بيروت - الطبعة الأولىٰ ١٤٤٢ هـ .

(٣) ينظر روح البيان لإسماعيل حقي بن مصطفىٰ الإستنابولي الخلوتي المولىٰ أبو الفداء ٩/ ٤٨٨ دار الفكر بيروت .

والمتأمل يلحظ أن التعبير جاء بالمبايعة دون المعاهدة كما كان مع اليهود بالرغم من أنها مستعارة لها [١] لما فيها من معنىٰ المعاهدة وزيادة، إذ إنها تشير إلىٰ ذلك الالتزام الواجب الذي يقال: بايع الرجل السلطان إذا أوجب علىٰ نفسه الطاعة وبايع السلطان الرعية إذا قبل القيام بمصالحهم، وأوجب علىٰ نفسه حفظ نفوسهم وأموالهم من أيدي الظالمين . [٢]

كما أنه من عادة الناس عند المبايعة أن يضع الرجل يده علىٰ يد الآخر لتكون معاملتهم محكمة مثبتة، فسميت المعاهدة بين المعاهدين مبايعة تشبيها بها في الإحكام والإبرام .[٣] وكأن كل واحد من المتعاهدين قد اشترىٰ ما عنده من صاحبه، وأعطاه خالصة نفسه ودخيلة أمره .[٤]

ومن ثم كان التعبير بلفظ المبايعة دالا علىٰ قوة إيمان أؤلئك النساء وقوة عزيمتهن في الالتزام بما قطعه عليهن رسول الله – ﷺ –، وكيف لا ؟! وقد جعل الله – عزوجل – إقبالهن علىٰ الرسول صلوات الله عليه مصححا لإطلاق لفظ الإيمان عليهن [٥] تعظيما من شأنهن، وثناء علىٰ حسن فعلهن.

وقد خصت الأمور المذكورة في الآية بالبيعة دون غيرها لبيان خطرها، وشدة شناعتها للمرأة المسلمة .

---

(١) حيث شبهت المعاهدة بالمبايعة بجامع إحكام الأمر و إبرامه في كل ، ثم حذف المشبه ،ثم استعير لفظ المشبه به له ، ثم اشتق من المبايعة بمعنىٰ المعاهدة يبايع بمعنىٰ يعاهد علىٰ سبيل الاستعارة التصريحية التبعية في الفعل.

(٢) ينظر روح البيان ٩/ ٤٨٨

(٣) ينظر السابق ٩/ ٤٨٧

(٤) ينظر لسان العرب لابن منظور مادة:بيع دار المعارف .

(٥) وعليه ففي لفظ (المؤمنات) مجاز مرسل علاقته باعتبار ما سيكون .

ومن ذلك أيضا قول الحق – تبارك وتعالىٰ قوله تعالىٰ: قوله تعالىٰ: ﴿وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ ثَقِفۡتُمُوهُمۡ وَأَخۡرِجُوهُم مِّنۡ حَيۡثُ أَخۡرَجُوكُمۡۚ وَٱلۡفِتۡنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلۡقَتۡلِۚ وَلَا تُقَٰتِلُوهُمۡ عِندَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِيهِۖ فَإِن قَٰتَلُوكُمۡ فَٱقۡتُلُوهُمۡۗ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ ١٩١ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ (١)

حيث جاء التعبير بالفعل (قاتلوا) والمقاتلة مفاعلة، وهي حصول الفعل من جانبين ولما كان الفعل لايمكن أن يتأتىٰ من الجانبين ؛لأن أحد الجانبين إذا قتل لم يستطع أن يقتل، كانت المفاعلة في هذه المادة مفاعلة لأسباب القتل أي: المحاربة فقوله: (قاتلوا) أي: حاربوا . (٢)

وعليه ففي كلمة (قاتلوا) مجاز مرسل علاقته المسببية، وعبر بالقتل دون المحاربة تحريضا علىٰ النفار في سبيل الله – عزوجل – إذ الخطاب للمسلمين، ثم قال:(الذين يقاتلونكم) فجعل فاعل المفاعلة ضمير عدوهم، فعلم أن المراد المسارعة إلىٰ رد من يبدأ المسلمين بالقتال، فلا ينتظرون الأعداء حتىٰ يأتوا عليهم أرضهم ويقتحموا عليهم بلادهم، وإنما عليهم الإسراع في رد كيد كل من سولت له نفسه أن يبتدئ المسلمين بالاعتداء . (٣)

ثم نهاهم الله – عزوجل – عن ابتداء الأعداء بالقتال في حالة واحدة وهي عندما يكون القتال عند المسجد الحرام حتىٰ يبدأهم الأعداء بالقتال، فإن فعلوا وجب علىٰ المسلمين أن يدافعوا عن المسجد الحرام بكل ما

---

(١) سورة البقرة الآيتان (١٩١، ١٩٢)

(٢)التحرير والتنوير للمؤلف / محمد الطاهر بن عاشور التونسي ٢/ ٢٠١ الدار التونسية للنشر – تونس ١٩٨٤ هـ.

(٣) ينظر التحرير والتنوير ٢/ ٢٠١

أوتوا من قوة، وقد وعدهم الله ذو القوة المتين بالنصر فقال: (فاقتلوهم) دون فقاتلوهم تبشيرا بالنصر، و ليعلم كل مسلم أنه مؤيد بالعزيز الجبار فلا يتوانىٰ في رد الذين سولت لهم أنفسهم الاعتداء علىٰ بيت الله الحرام .

ومن ذلك أيضا قول الله – تبارك وتعالىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَشَآقُّواْ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡهُدَىٰ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗا وَسَيُحۡبِطُ أَعۡمَٰلَهُمۡ ﴾ (١)

والآية تحذير بالخيبة والخسران لمن يحارب دين الله – عزوجل –، ويعادي نبيه – ﷺ – ويريد أن يحول بين الناس وبين الهدىٰ والحق والرشاد .

والمتأمل يلحظ التعبير بالفعل (شاقوا) علىٰ صيغة المفاعلة الدالة علىٰ وقوع المشاقة من جانبين، والمشاقة كناية عن المخالفة، ؛لأنها مشتقة من الشق، يقول الإمام الزمخشري: "والمشاقة مشتقة من الشق ؛ لأن كلا المتعادلين في شق خلاف شق صاحبه ." (٢)

وعليه تكون الكناية تولدت من الاستعارة التمثيلية التي صورت هيئة المتخالفين بهيئة الواقفين في شقين مختلفين، بجامع الهيئة الدالة علىٰ تمام التباعد وغاية الافتراق.

وتلك الكلمة توحي بظلالها ومادتها وبنيتها علىٰ تلك الفجوة العظيمة والهوة السحيقة بين أهل الحق وأهل الضلال، وأنه من المحال أن يتلاقيا،

(١) سورة محمد آية (٣٢)

(٢) الكشاف عن غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للإمام / جار الله محمود بن عمر الزمخشري ٢/ ٢٠٥ دار الكتاب العربي – بيروت الطبعة الثالثة ١٤٠٧ هـ .

لأن ثمت مانعا عظيما يحول بينهما إذ كيف يتلاقىٰ نور الإيمان مع ظلام الضلال ؟!

ثم جاء قوله تعالىٰ:﴿ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗاۗ وَسَيُحۡبِطُ أَعۡمَٰلَهُمۡ ٣٢﴾ [سورة محمد:٣٢].وعدا بنصر المؤمنين الثابتين علىٰ الحق، وايذانا بقرب خسران الكافرين المعاندين، دل علىٰ ذلك التأكيد ب(لن) النافية، وحرف التنفيس (السين)، وتعلق الحكم المنفي (المضرة) بالذات العلية في قوله (لن يضروا الله شيئا) والمراد: لن يضروا رسول الله –ﷺ– والمؤمنين، ولا شك أن ذلك من عظم مكانة النبي عند الرب العلي إذ جعل مضرته، وما يلحق به كالمنسوب إلىٰ الله تعالىٰ، وفيه من تفظيع مخالفته –ﷺ– ما فيه .

إن من يخالف النبي – ﷺ – ويناصب العداء للإسلام والمسلمين لهو علىٰ خطر عظيم وجرف هار ؛ لأنه ارتضىٰ أن يكون في شق الشيطان، وقد استطاعت صيغة المفاعلة (شاقوا) أن تبرز وتصور تلك المخالفة وذلك التباعد بين أهل الحق وأهل الضلال .

وقد تكررت مادة (المشاقة) في أكثر من موضع في القرآن الكريم:

في قوله تعالىٰ: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ شَآقُّواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴾(١)

وقوله تعالىٰ: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ شَآقُّواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۖ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴾ (٢)

ولله در الإمام البقاعي الذي ألمح إلىٰ اللطيفة من إظهار الإدغام وعدم إظهاره في تلك المواضع فقال " وأظهر الإدغام في الأنفال لأن القصة للعرب، وأمرهم في عداوتهم كان بعد الهجرة شديدا ومجاهرة، وأدغم في

(١) سورة الأنفال آية (١٣)

(٢) سورة الحشر آية (٤)

الماضي ؛ لأن ما مضىٰ قبلها ما بين مساترة بالمماكرة ومجاهرة بالمقاهرة، وعبر بالمضارع ندبا إلىٰ التوبة بتقييد الوعيد بالاستمرار، وأدغم في الحشر في الموضعين لأن القصة لليهود، وأمرهم كان ضعيفا . " (١)

ومن ذلك أيضا قول الله – عزوجل –: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (٢)

ذكر الحق ﷻ في هاتين الآيتين شأن البر بالوالدين ووجوب حرص الابن عليه ؛ لأنهما سبب وجوده فلهما عليه حق الطاعة والإحسان إلا في حالة أمره بمعصية فلا طاعة لهما ؛ لأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق .

والمتأمل يلحظ التعبير بلفظ (جَٰهَدَاكَ) ومجيئه علىٰ صيغة المفاعلة، والمجاهدة معناها: استفراغ الجهد أي: الوسع في مدافعة أمر ما، وتشير تلك الصيغة إلىٰ مخالفة الوالدين عند الأمر بالمعصية وإن بالغا في الحمل عليه . (٣)

والمقصود من الآية هو قوله تعالىٰ: (وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا) وإنما افتتحت بـ(وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ) لأنه كالمقدمة للمقصود ليعلم أن الوصاية بالإحسان لا تقتضي طاعتهما في

---

(١) ينظر نظم الدرر في تناسب الآيات والسور = تفسير البقاعي المؤلف / إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي ٨/ ٢٣٨ دار الكتاب الإسلامي – القاهرة .

(٢) سورة لقمان الآيتان (١٤ ، ١٥)

(٣) ينظر نظم الدرر ١٥/ ١٦٦

السوء ونحوه، مع في ذلك من حسن الإدماج من اقتران وجوب طاعتهما بالنهي عن الإشراك . (١)

وعبر بالمجاهدة في (جَٰهَدَاكَ) دون أمراك للإشعار بمدىٰ ثقل مخالفتهما، ولبيان مدىٰ المعاناة التي يلقاها المؤمن الذي عرف حق والديه عليه، ثم إن الآية لم يأت نظمها: وإن جاهداك علىٰ أن تشرك بي ما ليس لك به علم فعقهما، بل جاء:(فَلَا تُطِعۡهُمَاۖ) أي: في الشرك والمعصية، أما أمر برهما فثابت لا ينقطع .(٢)

ثم جاء الأمر بحسن الصحبة لهما فقال تعالىٰ: (وَصَاحِبۡهُمَا فِي ٱلدُّنۡيَا مَعۡرُوفٗاۖ) علىٰ صيغة المفاعلة الدالة علىٰ المشاركة للإشارة إلىٰ شدة حاجة الوالدين إلىٰ من يلازمهما ويقوم علىٰ أمرهما بالمعروف دون تأفف أو ضجر، وحاجة الابن كذلك إلىٰ تلك الفرصة العظيمة التي ينال بها رضا الله – عزوجل– .

وجئ بالقيد (في الدنيا) للإشارة إلىٰ تهوين أمر تلك الصحبة مهما رآها الابن ثقيلة شديدة ؛ لأنها لا تعدو أن تكون أياما قليلة وشيكة الانقضاء

ومما جاءت فيه صيغة (التفاعل) علىٰ الأصل من الدلالة علىٰ المشاركة الحقيقية قول الحق – تبارك وتعالىٰ -: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ

(١) ينظر التحرير والتنوير ٢٠ / ٢١٣

(٢) ينظر تيسير الرحمن في تفسير كلام المنان المؤلف / عبد الرحمن بن ناصر بن عبدالله السعدي ص/ ٦٤٨ المحقق / عبد الرحمن بن معلىٰ اللويحق الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة الأولىٰ ١٤٢٠ هـ / ٢٠٠٠م .

لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ۚ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾ (١)

حرم الشرع علىٰ الناس أن يأكل بعضهم مال بعض بالباطل، ولما كان التاجر يأخذ مالا زائدا علىٰ سلعته وبضاعته التي يبيعها فقد يشبه أكل أموال الناس بالباطل، ولكن لما كان علىٰ التجارة مصالح العباد ؛ لأنه لولا تصدي التجار وجلبهم السلع ما وجد صاحب الحاجة ما يسد به حاجته خصت بالاستثناء في الآية .

وكما جاء تخصيص التجارة بالاستثناء جاء كذلك تقييدها بالوصف (عن تراض) علىٰ صيغة التفاعل الدالة علىٰ المشاركة الحقيقية، والمراد حصول الرضا من جانبي البائع والمشتري بما يدل عليه من لفظ أو عرف .

وجئ قيد (بالباطل)، ثم جاء الاستثناء للتجارة، وتقييدها بالوصف الدال علىٰ تمام الرضا من الجانبين للتنفير من المغالاة في الزيادة والربح، والتزهيد في الدنيا، والصد عن الاستكثار منها واستغلال حاجة الناس .(٢)

ومما جاء علىٰ تلك الصيغة كذلك قول الله -عزوجل-: ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴾ (٣)

الله – عزوجل – أنزل القرآن الكريم علىٰ عبده ونبيه محمد -ﷺ- مستويا لا تناقض فيه ولا تدافع، وقد جاء التعبير بصيغة التفاعل (متشابها)

(١) سورة النساء آية (٢٩)

(٢) ينظر التحرير والتنوير ٥/ ٢٥٩

(٣) سورة الزمر الآية (٢٣)

الدالة علىٰ المشاركة الحقيقية للإبانة عن أن القرآن الكريم يشبه بعضه بعضا في صحة المعاني وشرفها، وقوة الألفاظ وجزالتها، وتجاذب تراكيبه، وتآزر نظمه، بحيث تبلغ ألفاظه ومعانيه أقصىٰ ما تحتمله أشرف اللغات قاطبة .

وجميع الآيات بالغ الطرف الأعلىٰ من البلاغة، ومتساوية في ذلك ومتشابهة ومتماثلة في الحسن، بخلاف كلام البشر الذي يقع فيه التفاوت باختلاف مراحل العمر، والحالة المزاجية، والمعرفة والتجارب للوقوف علىٰ كنه الأشياء وحقائقها، فبالرغم من أن القرآن نزل مفرقا علىٰ نيف وعشرين سنة إلا أنه لا تفاوت فيه في لفظ او معنىٰ مع ابتنائه علىٰ الحق والصدق وكونه صلاحا للناس وهدىٰ للعالمين .[1]

إذا تأملنا جميع تلك الآيات وغيرها رأينا فيها مجيء صيغتي (المفاعلة والتفاعل) للدلالة علىٰ معنىٰ المشاركة الحقيقية بحصول الفعل بين طرفين.

❁ دلالة صيغتي المشاركة (المفاعلة والتفاعل)على التكرار:

وتجدر الإشارة هنا إلىٰ دلالة هاتين الصيغتين علىٰ تكرار الفعل من الفاعلين، وتلك الدلالة دلالة حقيقية لها، ومن ذلك قول القائل: تراءوا الهلال .

حيث جاء الفعل (تراءوا) علىٰ صيغة التفاعل للدلالة علىٰ تكرر حدوث فعل الرؤية للهلال من أناس متعددين .

ومن ذلك في القرآن الكريم قول الله-عزوجل-:﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ

(١) ينظر نظم الدرر ١٦/ ٤٨٨ ، والتحرير والتنوير ٢٣/ ٣٨٦

وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴾ (١)

النهي عن المنكر فرض كفاية، وقد أخبر الحق سبحانه أنه لعن أمة بني إسرائيل كلها لتركهم تلك الفريضة، فهي أحد أبواب نجاة الأمم التي ينبغي أن تتمسك به حتىٰ لا تغرق في مهاوي الفواحش والمنكرات، فتستوجب بذلك الطرد من رحمة الله -عزوجل- كما فعلت بنو إسرائيل .

وإذا تأملنا الفعل (يتناهون) نجد أنه جاء علىٰ صيغة التفاعل، وليس المراد بالتناهي أن ينهي كل واحد منهم الآخر عما يفعله من المنكر كما هو المشهور لصيغة المشاركة، بل المراد تكرار صدور النهي من أشخاص متعددة من غير اعتبار أن يكون كل واحد منهم ناهيا ومنهيا . (٢)

كما قد نلمح منها معنىٰ المشاركة وذلك باعتبار مجموع الأمة فينهي بعضهم بعضا، حيث إن ناهي فاعل المنكر منهم هو بصدد أن ينهاه المنهي عندما يرتكب هومنكرا فتحصل بذلك المشاركة في التناهي .(٣)

وكأن الشرع يخاطب كل إنسان ويخبره بأنه ليس بكبير علىٰ النصح بالانتهاء عن المنكر مهما بلغت منزلته، ومهما كان داعيا إلىٰ الخير، لأن المرء لا يخلو من زلل ومن ثم يستحق النصح في هذا الذي زلت إليه قدمه.

وكان النهي عن المنكر واجبا (فرض كفاية) لأن من شأن المنكرات أن يبتدئها النفر القليل، فإذا لم يجدوا من يغير عليهم تزايدوا فيها، وتفشت بين

(١) سورة المائدة الآيتان (٧٨،٧٩)

(٢) ينظر تفسير أبي السعود ٣/ ٦٩

(٣) ينظر التحرير والتنوير ٦/ ٢٩٤

الناس، فصاروا لا يهتدون إلىٰ الإقلاع عنها، فتصيبهم لعنة الله – عزوجل.[١]

وجاء المضارع (يتناهون) للدلالة علىٰ استمرار عدم التناهي عن المنكر، ولا يمكن استمراره إلا باستمرار تعاطي المنكرات فهو كناية عنه .

وجاءت (منكر) نكرة في سياق النفي فأفادت غرقهم في عدم المبالاة، وتكاثر القبائح حتىٰ صارت طبعا فيهم . [٢]

والمراد بـ (لبئس ما كانوا يفعلون) أي: ترك التناهي، وأطلق عليه لفظ الفعل لأن السكوت عليه لا يخلو من إظهار الرضا به، والمشاركة فيه، وأكد فعل الذم (لبئس) بلام القسم للإقصاء في ذمه . [٣]

ومن ذلك أيضا قول الحق– تبارك وتعالىٰ – ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى فَٱكۡتُبُوهُ ﴾[٤]

حيث جاء الفعل (تداينتم) علىٰ صيغة التفاعل مع أن الفعل صادر من جهة واحدة وهي جهة المسلف للإشارة إلىٰ تكرار ذلك الفعل من أشخاص متعددة، كما أن فيه تلميحا إلىٰ استمالة المخاطب واستعطافه علىٰ أخيه ؛لأن فيه تذكرة بأن المقرض أو المسلف بصدد أن يكون مقترضا أو مدينا، ومن ثم يكون ذلك أدعىٰ للوقوف عند حدود الله، والعمل بما جاءت به الآية الكريمة، حفاظا علىٰ الحقوق، وصيانة لها من الضياع .

❁❁❁❁❁

(١) ينظر السابق ٦/ ٢٩٤

(٢) ينظر أبو السعود ٣/ ٦٩

(٣) ينظر السابق ٣/ ٦٩

(٤) سورة البقرة آية (٢٨٢)

المبحث الثاني:

التعبير بصيغتي المشاركة (المفاعلة والتفاعل) للدلالة على المشاركة الحكمية الاعتبارية

نجد هنا للمشاركة مذاقا آخر يختلف عن مذاقها السابق، إذ كانت هناك قائمة بين فاعلين حقيقيين، كل منهما قد باشر الفعل، وقام به، أما هنا فالأمر ليس كذلك، لأن الفعل قام به فاعل واحد، والطرف الثاني نزل منزلة المشارك له بسبب أمر لحق به كأن كان سببا في فعل الفاعل، أو وافق علىٰ فعله وارتضىٰ به، أو غير ذلك، ولذا قيل: "وربما كانت المشاركة بتنزيل غير الفعل منزلته ."[1]

ويقول كذلك صاحب حاشية الشهاب:" وقد يتجوز بها أيضا (يقصد صيغة المفاعلة) عن إيجاد فعل فيما يقبله بتنزيل قبوله منزلة فعله ." [2]

ومثال ذلك قول القائل: **عالج الطبيب المريض .**

حيث جاء الفعل (عالج) دالا علىٰ المشاركة الاعتبارية، بالرغم من أن الفاعل للعلاج واحد وهو الطبيب، ولكن لما كان المرض الذي هو سبب العلاج لما قام بالمريض نزل منزلة قيام المسبب به وهو العلاج، فصار كأنه قام بالجانبين .

ومن ثم فإن الفعل (عالج) اقتضىٰ قيام الفعل من فاعلين، أحدهما باشر الفعل حقيقة وهو الطبيب، والآخر باشره مجازا وهو المريض، فيكون بذلك اجتمعت الحقيقة والمجاز في محل واحد .

ومثله أيضا قول القائل: **عاقبت اللص .**

---

(١) شذا العرف ص/ ٣٠،٣١

(٢) حاشية الشهاب علىٰ تفسير البيضاوي ، المسماة: عناية القاضي وكفاية الراضي علىٰ تفسير البيضاويالمؤلف: شهاب الدين بن محمد بن أحمد الخفاجي المصري الحنفي ١/ ٣١٤ دار النشر: دار صادر – بيروت .

حيث جاء الفعل (عاقبت)علىٰ صيغة المفاعلة للدلالة علىٰ المشاركة الاعتبارية وذلك لأن السرقة التي هي سبب العقوبة لما قامت باللص نزلت منزلة قيام المسبب به وهي العقوبة، فصارت كأنها قد قامت بالجانبين .

ومنه كذلك قول القائل:**طارقت النعل** .

حيث جاء الفعل (طارقت) دالا علىٰ المشاركة الاعتبارية ؛ لأن الفساد الذي هو سبب الطرق لما قام بالنعل نزل منزلة قيام المسبب به وهو الطرق، فصار كأنه قام بالجانبين .

وفي ذلك يقول الإمام أبو السعود-رحمه الله-:"مطالبة الدائن، ومماطلة المدين ومداواة الطبيب، ونظائرها مما يكون من أحد الجانبين الفعل، ومن الآخر سببه، فإن هذه الأفعال وإن كانت صادرة من أحد الجانبين، لكن لما كانت أسبابها صادرة من الجانب الآخر جعلت كأنها صادرة عنهما، وهذا باب لطيف المسلك، مبني علىٰ اعتبار دقيق تحقيقه أن سبب الشيء يقام مقامه، ويطلق عليه اسمه، كما في قولهم: كما تدين تدان، أو كما تجزي تجزىٰ، فإن فعل البادي وإن لم يكن جزاء لكنه لكونه سببا للجزاء أطلق عليه اسمه ."[1]

ومثال ذلك في القرآن الكريم قول الحق ﷻ: ﴿ وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴾[2]

(١) إرشاد العقل السليم إلىٰ مزايا الكتاب الكريم = تفسير أبي السعودلأبي السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفىٰ ١/ ١٥ دار إحياء التراث العربي – بيروت .

(٢) سورة البقرة آية (٥٢)

لما عاد سيدنا موسىٰ -عليه السلام- وقومه إلىٰ مصر بعد مهلك فرعون، ولم يكن لهم كتاب ينتهون إليه، وعد الله -عزوجل- نبيه أن يعطيه التوراة لتكون بيان ما يأتون وما يذرون، وضرب له ميقاتا ذا القعدة وعشر ذي الحجة . (١)

والمتأمل الآية يجد أن التعبير جاء بلفظ (واعدنا)، والمواعدة مفاعلة بين اثنين والوعد كان من الله - تبارك وتعالىٰ- ولم يكن من موسىٰ -عليه السلام- ولذا قرأ أبو عمرو (وعدنا) بغير الألف، ورجحه أبو عبيد، وقال: إن المواعدة لا تكون إلا من البشر. (٢)

وقال أبو حاتم مرجحا للقراءة بغير الألف: " قراءة العامة عندنا (وعدنا) بغير الألف ؛ لأن المواعدة أكثر ما تكون بين المخلوقين المتكافئين . " (٣)

كما رجح مكي قراءة أبي عمرو كذلك فقال: "وأيضا فإن ظاهر اللفظ فيه وعد من الله لموسىٰ، وليس فيه وعد من موسىٰ، فوجب حمله علىٰ الواحد بظاهر النص."(٤)

بينما يرد علىٰ كل ذلك صاحب البحر المحيط قائلا: " ولا حجة لترجيح إحدىٰ القراءتين علىٰ الأخرىٰ، لأن كلا منهما متواتر، فهما في الصحة علىٰ حد سواء

(١) ينظر تفسير الكشاف ١/ ١٣٩

(٢) ينظر تفسير ابن عطية ١/ ١٤٢

(٣) ينظر الدر المصون في علوم الكتاب المكنون لأبي العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي ١/ ٣٥٢ المحقق الدكتور / أحمد محمد الخراط دار القلم – دمشق.

(٤) الدر المصون ١/ ٣٥٢

وأكثر القراء علىٰ القراءة بالألف وهي قراءة مجاهد، والأعرج، وابن كثير، ونافع والأعمش، وحمزة، والكسائي. " (١)

وأجاب العلماء علىٰ أبي عمرو، وأبي عبيد، وأبي حاتم، ومكي بأن المفاعلة هنا صحيحة؛ لأنها مفاعلة اعتبارية، بمعنىٰ أنه نزل قبول موسىٰ - عليه السلام - وعد ربه -عزوجل- والوفاء به، والالتزام بموعده وميقاته منزلة الوعد منه، ولذا يقول الزجاج: "كان من الله الأمر ومن موسىٰ القبول فلذلك ذكر بلفظ المواعدة." (٢)

وعليه تكون المشاركة هنا مشاركة اعتبارية؛ لأن الوعد وإن كان من الله -عزوجل- فقبوله كان من موسىٰ-عليه- وقبول الوعد يشبه الوعد؛ لأن قابل الوعد لابد وأن يقول: أفعل ذلك. (٣)

وبهذا يكون في لفظ (واعدنا) قد اجتمعت الحقيقة والمجاز في لفظ واحد، الحقيقة في وعد الله -عزوجل-موسىٰ-عليه السلام-، والمجاز في تسمية

(١) البحر المحيط لأبي حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان بن أثير الدين الأندلسي ١/ ١٣٢ تحقيق / صدقي محمد جميل دار الفكر بيروت ١٤٢٠ هـ.

(٢) معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي المؤلف / محيي السنة، أبو محمد، الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي ١/ ١١٦ المحقق / عبد الرازق المهدي دار إحياء التراث العربي -بيروت الطبعة الأولىٰ ١٤٢٠ هـ.

(٣) مفاتيح الغيب = التفسير الكبير لأبي عبدالله ، محمد بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي ،الملقب بفخر الدين الرازي ، خطيب الري ٣/ ٥١٠ دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة الثالثة ١٤٢٠ هـ .

قبول موسىٰ وعد الله -عزوجل- وعدا مشاكلة لوقوعه في صحبة وعد الله -تبارك وتعالىٰ- علىٰ سبيل الاستعارة التصريحية التبعية. (١)

ولذا جاء التعبير بلفظ (واعدنا) الدال علىٰ المشاركة، إذ الأصل أن يقال في غير القرآن: ووعد الله-عزوجل- موسىٰ، وقبل موسىٰ وعد ربه وارتقبه، وإنما جاء القبول بلفظ الوعد ليشير إلىٰ مدىٰ شدة ارتقاب موسىٰ وعد ربه -جل وعلا- وشغفه بهذا الوعد، وتعجله في طلبه وكأنه هو الذي قطعه علىٰ نفسه.

ومما يدخل تحت هذا الباب كذلك قول الله-عزوجل-:﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴾(٢)

أخذ الشيطان يوسوس لآدم وحواء بأن يأكلا من الشجرة المحرمة، وراح يخدعهما ويغريهما علىٰ الأكل منها، ولم يكتف بالوسوسة بل انطلق يقسم، ويؤكد كذبه وخديعته بأنه يريد لهما النفع، وأنه لمن الناصحين.

ولنا أن نتأمل (وقاسمهما)، والمقاسمة: مفاعلة من أقسم إذا حلف، حذفت منه الهمزة عند صوغ المفاعلة كما حذفت من المكارمة.(٣)

---

(١) حيث شبه قبول موسىٰ وعد الله-عزوجل-بالوعد، بجامع شدة الالتزام في كل، ثم حذف المشبه، ثم استعير لفظ المشبه به له، ثم اشتق من الوعد بمعنىٰ القبول واعدنا علىٰ سبيل الاستعارة التصريحية التبعية، أو يجعل التعبير بالوعد عن القبول من قبيل المجاز المرسل الذي علاقته المسببية .

(٢) سورة الأعراف الآيات (٢٠،٢١)

(٣) ينظر التحرير والتنوير ٨ب/ ٦٠

والأصل في المفاعلة الدلالة علىٰ حصول الفعل من الجانبين(المشاركة)، فتقسم لصاحبك، ويقسم لك، تقول:قاسمت فلانا أي: حالفته، وتقاسما: تحالفا، وليست هنا كذلك؛ لأن الذي أقسم إبليس، إذ أقسم لآدم وحواء كذبا ليوهمهما بصدقه.(١)

وقد تعددت آراء العلماء حول مجيء فعل القسم (قاسمهما)على زنة المفاعلة في هذه الآية إلى عدة وجوه هي:

الأول: أنه جاء كذلك للدلالة علىٰ المشاركة الاعتبارية، والتقدير: أنه قال: أقسم لكما إني لمن الناصحين، وقالا له: أتقسم بالله إنك لمن الناصحين؟ فجعل ذلك مقاسمة. (٢)

الثاني: أنه جاء علىٰ زنة المفاعلة للدلالة علىٰ المشاركة الحقيقية، فكان هناك قسم من إبليس لهما علىٰ صدقه، وقسم من آدم وحواء له بتصديقهما. (٣)

ويضعف هذا الرأي أن القسم لم يكن من آدم وحواء علىٰ الراجح، وإنما كان من إبليس لهما.

الثالث: أنه جاء قسم إبليس علىٰ زنة المفاعلة للدلالة علىٰ اجتهاده فيه اجتهاد المقاسم .(٤)

والذي يميل إليه الباحث ويرجحه الرأي الأول القائل بأن التعبير بالمفاعلة جاء للدلالة علىٰ المشاركة الاعتبارية، وكأن آدم وحواء عندما طلبا من إبليس أن يقسم فأقسم كان ذلك بمثابة القسم منهما، وذلك لأن

(١) ينظر البحر المحيط ٥/ ٢٦

(٢) ينظر مفاتيح الغيب ١٤/ ٢٢٠

(٣) ينظر السابق ١٤/ ٢٢٠

(٤) ينظر مفاتيح الغيب ١٤/ ٢٢٠

المترتب علىٰ القسم والطلب واحد وهو التصديق. [1]، ولذا قيل: "وكأنهما قالا له تقسم بالله إنك لمن الصادقين ؟ فأقسم فجعل طلبهما بمنزلة القسم، فتكون مفاعلة مجازا."[2]

ويرجح هذا الرأي أيضا أن الإمام الرازي قدمه علىٰ بقية الآراء إشارة منه إلىٰ قبوله، وأنه أولىٰ عنده من غيره، [3] كما أن في تلك الدلالة إشارة إلىٰ فداحة المعصية، وأن من يفعل ذنبا عليه أن يتحمل تبعة هذا الذنب، وأنه بفعله شريك للشيطان الذي أغواه وسول له، وكفىٰ بذلك زجرا وتنفيرا عن المعاصي والذنوب.

إن المشاركة الاعتبارية هنا لتلقي بالتبعة علىٰ آدم لأنه انساق في الحديث مع الشيطان، وما كان له أن يسمع مقولته أصلا، لأن الاستماع لأهل الضلال لهو أول مراتب الانزلاق إلىٰ الهاوية.

(١) وعلىٰ ذلك يكون في (قاسمهما) جمع بين الحقيقة والمجاز ، الحقيقة في قسم إبليس لآدم وحواء ، ومجاز في إطلاق لفظ القسم علىٰ طلب آدم وحواء القسم منه، ويكون حينئذ مجاز مرسل علاقته المسببية، وفي الكلمة أيضا مشاكلة حيث سمي الطلب قسما لوقوعه في صحبته تنفيرا من مخالطة أهل الضلال والإضلال .

(٢) ينظر مفاتيح الغيب ١٤/ ٢٢٠

(٣) ينظر السابق ١٤/ ٢٢٠

ومن ذلك أيضا قول الله-عزوجل-: ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ (١)

المؤمن دائم الحرص علىٰ رضوان ربه-جل علا- دائم الحذر من أن يصدر عنه ما يغضب مولاه، يبتهل في كل وقت بالدعاء رغبة منه في استدامة هذا الرضوان، ومن شأنه إذا اقترف ذنبا أن يجأر بالدعاء استغفارا وندما، حاله الحياء ليس التبجح بالمعصية، أو الإعراض عن الأمر، وبذلك استحق النصر والتأييد من الحق-سبحانه-.

وإذا أطلنا النظر في قوله تعالىٰ:(رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ) لاحظنا أن كلمة (لا تؤاخذنا) قد جاءت علىٰ صيغة المفاعلة التي تقتضي المشاركة، وليست ثمة مشاركة، لأن المراد بالمؤاخذة: المعاقبة (٢)، والعقاب يكون من الله -عزوجل- لعبده علىٰ خطئه وتفريطه، فلم جاء التعبير بصيغة المفاعلة الدالة علىٰ المشاركة؟

تعددت آراء العلماء حول معنى صيغة المفاعلة في الآية وجاءت كالآتي:

الرأي الأول: جاءت المؤاخذة علىٰ صيغة المفاعلة للدلالة علىٰ المشاركة الاعتبارية وكأن المعاقب علىٰ ذنب ارتكبه بسبب نسيانه وتفريطه شريك لمن يعاقبه في إيقاع العقوبة علىٰ نفسه، ولذا يقول صاحب الدر المصون: " وإنما جاء لفظ المفاعلة وهو واحد لأن الناسي قد أمكن من

(١) سورة البقرة آية (٢٨٦)

(٢) والمراد بالمؤاخذة: المعاقبة ، مشتقة من الأخذ بمعنىٰ العقوبة ، وهو من قبيل المجاز المرسل الذي علاقته الملزومية ، ينظر التحرير والتنوير ٣/ ١٤٠

نفسه، وطرق السبيل إليها بفعله فصار من يعاقبه بذنبه كالمعين علىٰ نفسه في إيذاء نفسه."[١]

الرأي الثاني: جاءت المؤاخذة علىٰ صيغة المفاعلة للدلالة علىٰ المشاركة الحقيقية وهي أن الله-عزوجل- يأخذ المذنب بالعقوبة، والمذنب كأنه يأخذ ربه بالعفو والكرم لأنه لا يجد من يخلصه من عذابه إلا هو، فلهذا يتمسك العبد عند الخوف منه به، فلما كان كل واحد يأخذ الآخر عبر بلفظ المؤاخذة.[٢]

ورد الإمام الألوسي هذا الرأي فقال:" ولا يخفىٰ فساد هذا الرأي إلا بتكلف."[٣]

الرأي الثالث: أن (فاعل) هنا بمعنىٰ الفعل المجرد، فتكون (آخذ) بمعنىٰ (أخذ) كما في قوله تعالىٰ: ﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ﴾[٤] فتكون غير دالة علىٰ المشاركة.[٥]

وهذا الرأي لا نميل إليه، ولا نرجحه، لأن الالتفات بين صيغ الأبنية تختبئ وراءه معان معتبرة وأسرار خفيه دقيقة ينبغي علىٰ الباحث أن يجتهد

---

(١) تفسير الدر المصون ٢/ ٧٠١

(٢) ينظر تفسير مفاتيح الغيب ٧/ ١١٩

(٣) تفسير روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني المؤلف/ شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي ٢/ ٦٧ المحقق/ علي عبد الباري عطية دار الكتب العلمية- بيروت الطبعة الأولىٰ ١٤١٥ هـ.

(٤) سورة العنكبوت آية (٤٠)

(٥) ينظر الدر المصون ٢/ ٧٠١

في الوقوف عليها والكشف عنها، خاصة وأن العلماء قد أشاروا إلىٰ الكثير منها في كتبهم. (١)

والذي يرجحه الباحث ويميل إليه هو الرأي الأول القائل بدلالة صيغة المفاعلة علىٰ المشاركة الاعتبارية إذ في تلك الدلالة إشارة إلىٰ أن تلك المؤاخذة وذلك العقاب أساسه ومنشؤه المرء المذنب ذاته إذ كان شريكا بغفلته ونسيانه في إيقاع العقوبة بنفسه.

وعليه فقد اجتمع مجازان في كلمة (تؤاخذنا)، **الأول**: في التعبير عن العقوبة بالمؤاخذة في جانب الله-عزوجل- عن طريق المجاز المرسل الذي علاقته الملزومية **والثاني**: في التعبير عن غفلة المذنب ونسيانه بالمؤاخذة مشاكلة للمؤاخذة الأولىٰ عن طريق المجاز المرسل الذي علاقته المسببية، للدلالة علىٰ المشاركة الاعتبارية.

وفي تلك المشاركة الاعتبارية تأدب وخضوع لله-عزوجل- لأن في ذلك إشارة إلىٰ اعتراف المذنب بخطئه، وإذعانه بما يستحقه من عقوبة جراء غفلته، ولا شك أن أكرم الأكرمين يجود بعفوه وفضله علىٰ عبده إذا جاءه خاضعا متذللا، معلنا تقصيره وصدق نيته في الإقلاع والتوبة عما اقترف من إثم.

ولنا أن نستشعر ما في الآية من رغبة صادقة للمؤمن في التوبة لمولاه من خلال حذف حرف النداء المشعر بالقدوم علىٰ الحق- تبارك وتعالىٰ- والنزول بساحة كرمه وعفوه، وتكرار النداء المعلن التذلل والخضوع والإلحاح في الطلب، وتكرار لفظ (الرب) وما يشير إليه من قوة الرجاء بعظم العطاء، والتعبيربـ (إن) الشرطية الملوحة بأن الخطأ والنسيان ليس

(١) وقد ترد صيغة المفاعلة والمراد الفعل الثلاثي المجرد للدلالة علىٰ معنىٰ المبالغة وقوة الفعل، وتحتمله الصيغة هنا، وذلك من الثراء الدلالي لتلك الصيغة.

هما ديدن المؤمن، وإنما حدث عابر سرعان ما يستفيق منه ويعود إلىٰ رشده وصوابه المعهود منه.

ومن ذلك أيضا قول الحق- تبارك وتعالىٰ-: ﴿ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ﴾(١)

رصدت هذه السورة بعض علامات المنافق المكذب بالدين وإن تظاهر بين الناس أنه قوي الإيمان، ومن تلك العلامات أنه غليظ علىٰ الأيتام، ولا يحنو عليهم، ويأكل حقوق الضعفاء، ولا يعرف حقا للمساكين، وكما يتغافل عن حقوق العباد يتغافل عن حقوق رب العباد، فيقصر في صلاته، ويرائي الناس في عباداته ومعاملاته طالما يشاهدونه فإذا توارىٰ عنهم كشف عن وجهه القبيح، ولذلك استحق الوعيد بالويل والعذاب الأليم .

والناظر يلحظ التعبير بلفظ (يراءون)، والمراءاة: أن يكون المرء الذي يرائيك بحيث تراه كما يراك، فهو فعل مشاركة من الرؤية(٢)، والرياء: إظهار العمل للناس ليروه، ويظنوا بفاعله خيرا.((٣)

وجاء التعبير بـ (يراءون) وهو مفاعلة من الرؤية، كما جاء التعبير في مواضع أخرىٰ بـ (رئاء)(٤)علىٰ صيغة الفعال الدالة علىٰ المشاركة كذلك،

---

(١) سورة الماعون الآيات (من ١ إلىٰ ٧)

(٢) ينظر تفسير المنار٥/ ٣٨٢

(٣) ينظر تاج العروس المؤلف: محمد بن محمد بن عبد الرازق الحسيني أبو الفيض الملقب بمرتضىٰ الزبيدي مادة: رأىٰ تحقيق / مجموعة من المحققين دار الهداية.

(٤) جاء لفظ (رئاء) في سورة البقرة آية (٢٦٤) ، وسورة النساء آية (٣٨) ، وسورة الأنفال آية(٤٧)،كما جاء في غيرها من المواضع .

والذي يري الناس عمله هو المرائي الذي يقصد بعمله الخلق غفلة عن الخالق، وعماية عنه، وليس هناك إراءة من الناس له، فلم جاء التعبير بتك الصيغة الدالة علىٰ المشاركة في تلك المواضع؟

جاء التعبير بالمفاعلة والفعال في تلك المواضع المشار إليها للدلالة علىٰ المشاركة الاعتبارية، لأن المرائي يري الناس عمله طلبا للمكانة بينهم، والناس يرونه استحسان ذلك العمل والثناء عليه والإعجاب به.(١)

ومن ثم ففي (يراءون) جمع بين الحقيقة والمجاز، الحقيقة في دلالة هذا الفعل علىٰ إراءة المنافق عمله غيره طلبا للحظوة عنده، والمجاز في دلالة هذا الفعل علىٰ إعجاب الناس وثنائهم ومدحهم له، لأن الإعجاب والثناء لما كان مسببا عن فعل تلك المراءاة عبر به عنها عن طريق المجاز المرسل الذي علاقته المسببية(٢)، ولذا يقول صاحب روح البيان:" يرون الناس أعمالهم ليروهم الثناء عليها، قلت: يلزم الجمع بين الحقيقة والمجاز، قلت: هو محمول علىٰ عموم المجاز، أو علىٰ جعل الإراءة من الرؤية بمعنىٰ المعرفة."(٣)

وصاحب روح البيان وإن كان يحاول دفع الجمع بين الحقيقة والمجاز، وذهب إلىٰ أن الإراءة في حق الناس من قبيل عموم المجاز أي اشتهر حتىٰ صار كالحقيقة، أو من الرؤية بمعنىٰ المعرفة فيكون حقيقة كذلك، فإن من

(١) ينظر الكشاف ١/ ٥٨٠

(٢) والقرينة الصارفة إلىٰ المجاز هنا هي أنه حتىٰ تصح المقابلة والمشاركة في الإراءة كان لابد من اتحاد الفعل ومتعلقه، وهو أن كل فريق يري الآخر عمله، ولما كان ذلك متحققا في جانب المنافق، وغير متحقق في جانب الناس كان في حق المنافق حقيقة، وفي حق الناس مجاز، وبينهما مشاكلة.

(٣) روح البيان ١٠/ ٥٢٣

العلماء من يقول بالجمع بينهما كالشافعي والبيضاوي والشهاب [1] وهو ما يميل إليه الباحث ويرجحه، وهو أحد طاقات هذه اللغة الفذة.

وقيل: المفاعلة في (يراءون) لمجرد المبالغة والتكثير [2]، أي أن هؤلاء المنافقين يجتهدون في إظهار ما ليس مستقرا في قلوبهم ونفوسهم لينخدع الناس بهم.

ولكن الباحث يرجح الرأي الأول، ويميل إليه، وإن كان لا مانع من تكاثر الدلالات علىٰ المحل الواحد، وخاصة أن صيغ المشاركة ذات ثراء دلالي كما يظهر للقارئ الكريم من خلال هذا البحث.

ولنا أن نتدبر تلك الآيات التي أبانت عن حال ذلك المرائي إذ بدئت بالاستفهام تعجيبا من حاله، وتشهيرا به، وفضحا لسوء صنيعه، كما جاء الاسم الموصول (الذي يكذب بالدين) للدلالة علىٰ أن هذا ديدنه وطبعه، كما جاءت الإشارة للبعيد(ذلك) للتحقير من شأنه وبيان بعده عن جادة الحق والصواب، كما جاء التعبير بالأفعال المضارعة (يدع، ولايحض) للإشارة إلىٰ استمراره علىٰ تلك الحال، وتجدد تلك الافعال منه التي تبين عن قساوة قلبه وغلظته.

---

(١) ينظر حاشية الشهاب المسماة عناية القاضي وكفاية الراضي علىٰ تفسير البيضاوي للقاضي/ شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي ١/ ٣١١ ضبطه وخرج آياته وأحاديثه الشيخ/ عبد الرازق المهدي دار الكتب العلمية- بيروت ١٩٧١م

(٢) ينظر الكشاف ٤/ ٨٠٥، والتحرير والتنوير ٥/ ٢٤٠

ومن ذلك أيضا قول الحق- تبارك وتعالىٰ- ﴿ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوۡجًا غَيۡرَهُۥۗ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۗ وَتِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴾(١)

إذا طلق المرء زوجته ثلاثا، ثم انقضت عدتها منه، وتزوجت من آخر، ودخل بها فإن طلقها الثاني، وانقضت عدتها منه، فلا جناح عليهما أن يرجع إليها الأول فيتزوجها بعقد جديد إن غلب علىٰ ظنهما أنهما سيقيمان ما حده الله وشرعه من حقوق الزوجية.

والممعن في الآية يلحظ لفظ (يتراجعا) ومجيئه علىٰ صيغة (التفاعل) الدالة علىٰ المشاركة، مع العلم أن الذي يذهب ويطلب الرجوع مرة ثانية بنكاح جديد الرجل لا المرأة، وأن الذي يرد الآخر لعصمته الرجل لا المرأة، ولكن لما كان هذا الرجوع متوقفا علىٰ رضا المرأة صارت مشاركة فيه، ولكن مشاركة اعتبارية، ولذا يقول صاحب التحرير والتنوير:" وأسندت الرجعة إلىٰ المتفارقين بصيغة المفاعلة (٢) لتوقفها علىٰ رضا الزوجة بعد البينونة."(٣)

وكأن تلك المشاركة تومئ إلىٰ ضرورة رضا المرأة، وأنه لا يحق لأحد مهما كان أن يجبرها علىٰ شيء لا تريده، إذ جعل قبولها في الميزان سواء بسواء مع الرجل، ومن ثم ففي لفظ (يتراجعا) اجتمعت الحقيقة والمجاز، الحقيقة في التعبير عن رد الزوج الأول المرأة إلىٰ عصمته بعقد جديد رجعة،

(١) سورة البقرة آية (٢٣٠)

(٢) وإنما عبر صاحب التحرير والتنوير بصيغة المفاعلة لا صيغة التفاعل لأنهما يشتركان في الدلالة علىٰ المشاركة .

(٣) التحرير والتنوير ٢/ ٤٢٠

والمجاز في التعبير به عن رضا الزوجة بهذا العقد الجديد، عن طريق المجاز المرسل الذي علاقته المسببية، وفيه مشاكلة.

وجاءت صيغة (التفاعل) لا (المفاعلة) وإن كانت تشترك معها في الدلالة علىٰ المشاركة، لأن أمر المشاركة فيها أظهر، والإسناد فيها إلىٰ الطرفين أبين، وبهذا كانت أدل علىٰ أن رأي المرأة معتبر مقدر شرعا لا يصح العقد بدونه.

وذكر النكاح الجديد بلفظ التراجع للتذكير بما كان بينهما، وهذا أحرىٰ أن يتجنبا كل سبب كان مظنة الخلاف والشحناء، ويبدءا حياة جديدة يسودها الأمان والاستقرار والرحمة والمودة والسكينة.

المبحث الثالث:

التعبير بصيغتي المشاركة (المفاعلة والتفاعل) للدلالة على التمثيل

صيغ المشاركة بالرغم من أنها ألفاظ مفردة إلا أنها تدل علىٰ متعدد، وهذا التعدد لمدلولها أهّلها، وجعلها قادرة علىٰ التمثيل بأن تقوم مقام مركب متعدد الألفاظ، وقد جاء ذلك في مواطن متعددة في القرآن الكريم ومنها:

قول الله- تبارك وتعالىٰ-﴿ وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ (١)

هذه الآية تقص لحظات تلك المحنة وذلك الاختبار الشديد الذي كان لنبي الله يوسف-عليه السلام- مع امرأة العزيز التي عشقته وراودته عن نفسه، وأخذت تحتال لتوقع به، وقد أحكمت خطتها، وأعدت العدة لذلك فغلّقت أبواب مخدعها، وحاولت بشتىٰ الوسائل أن تصرفه عن رفضه ليفعل ما تأمره به، ولكنه ردها ردا عنيفا، وأخذ يذكرها بفضل زوجها عليه إذ أحسن مثواه، ويذكرها بالله-عزوجل- فالخائن لا ينال توفيقا ولا فلاحا.

والآية إذ تقص تلك اللحظات العصيبة نراها تبدأ بكلمة شديدة التركيز والامتلاء(راودته) والمراودة: المطالبة، مفاعلة من راد، يرود، إذا جاء وذهب، ومنه الرائد لطلب الماء والكلأ، وهي مفاعلة من واحد. (٢)

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا لم جاءت تلك الكلمة الدالة في الأصل علىٰ المشاركة بينما المراودة كانت من امرأة العزيز لا غير؟

---

(١) سورة يوسف آية (٢٣)

(٢) ينظر تفسير أبي السعود٤/ ٢٦٤

تعددت آراء العلماء في دلالة صيغة المفاعلة في (راودته) علىٰ النحو الآتي:

الرأي الأول: أن المراودة بمعنىٰ المطالبة، وهي علىٰ بابها من الدلالة علىٰ المشاركة الحقيقية، ولا يشترط اتحاد المتعلق، فقد طلبت منه الفعل، وهو طلب منها الترك.(١)

الرأي الثاني: أن تلك الصيغة جاءت للدلالة علىٰ المشاركة الاعتبارية، فالمراودة حقيقة من جهة امرأة العزيز، مجاز من جهة سيدنا يوسف-عليه السلام-باعتبار أن سبب الشيء يقوم مقامه، ويطلق عليه اسمه، ولما كان جمال سيدنا يوسف -عليه السلام- سببا في مراودتها صار بمنزلة صدور المسبب وهو المراودة، وروعي جانب الحقيقة بأن أسند الفعل إلىٰ الفاعل، وأوقع علىٰ صاحب السبب. (٢)

ولكني أضعف هذا الرأي ولا أميل إليه.

الرأي الثالث: أن تلك الصيغة جاءت مجازاً عن المبالغة في أمر المراودة من امرأة العزيز. (٣)

وهذا الرأي الأخير هو ما يميل إليه الباحث ويرجحه، وسوف يفرد الباحث لتلك الدلالة مبحثا خاصا -إن شاء الله تعالىٰ-

لكن نظرا لما في تلك الصيغة من ثراء دلالي نرىٰ فيها دلالة أخرىٰ وهي الدلالة علىٰ التمثيل، والذي يرشح لذلك تعدية الفعل (راودته) بـ (عن) لتضمينه معنىٰ المخادعة، والمعنىٰ: أنه شبهت هيئة امرأة العزيز وهي تطالب سيدنا يوسف-عليه السلام- بلطف ولين، وتحاول أن تثنيه عن رأيه ليفعل

(١) ينظر تفسير أبي السعود ٤/ ٢٦٤

(٢) ينظر السابق ٤/ ٢٦٤

(٣)ينظر السابق ٤/ ٢٦٤

ما تريد، بهيئة المخادع صاحبه عن شيء لا يريد إخراجه من يده وهو يحتال أن يأخذه منه، بجامع الهيئة الدالة علىٰ قوة الحيلة والخداع في كل.

ولذا يقول الإمام الزمخشري مشيرا لتلك الدلالة:" المراودة: مفاعلة من راد يرود إذا جاء وذهب، كأن المعنىٰ خادعته عن نفسه، وفعلت ما يفعل المخادع لصاحبه عن الشيء الذي يريد أن يخرجه من يده يحتال أن تغلبه عليه، وتأخذه منه."(١)

إن تلك الصيغة وما فيها من دلالة علىٰ التعدد كانت قادرة علىٰ القيام بالتمثيل، وأبانت عن المحنة التي تعرض لها سيدنا يوسف، وكشفت عن الصورة في تركيز وإيجاز، فبالرغم من أنه كان تحت إمرة امرأة العزيز، وهي التي طلبته ودعته إلىٰ نفسها، وغلّقت الأبواب، وبالغت في التهيؤ والمراوغة والخداع حيلة منها في الإيقاع به، كان في أعلىٰ معارج العفة والنزاهة.

ومن ذلك أيضا قول الله-عزوجل-: ﴿ وَٱبۡتَلُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ فَإِنۡ ءَانَسۡتُم مِّنۡهُمۡ رُشۡدٗا فَٱدۡفَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ أَمۡوَٰلَهُمۡۖ وَلَا تَأۡكُلُوهَآ إِسۡرَافٗا وَبِدَارًا أَن يَكۡبَرُواْۚ وَمَن كَانَ غَنِيّٗا فَلۡيَسۡتَعۡفِفۡۖ وَمَن كَانَ فَقِيرٗا فَلۡيَأۡكُلۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ فَإِذَا دَفَعۡتُمۡ إِلَيۡهِمۡ أَمۡوَٰلَهُمۡ فَأَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِمۡۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبٗا ﴾(٢)

عني الإسلام ببيان الحقوق، وخاصة حقوق الضعفاء، وأولىٰ الضعفاء بالرعاية والاهتمام هم الأيتام، ولما كان أكل أموال الناس بالباطل من السموم القاتلة، وقد تعظم رغبة النفس إليه والطمع فيه إذا كان ليتيم؛ لأنه لا يستطيع دفع الضر عن نفسه حذّر من ذلك، وجعل أمر وصايته ورعايته حقا واجبا في رقبة الأوصياء، وأوجب عليهم القيام علىٰ ماله خير قيام حتىٰ يدفعوه إليه إذا رشد، وقد استطاع أن يقوم عليه بنفسه.

---

(١) الكشاف ٢/ ٤٥٥

(٢) سورة النساء آية (٦)

وإذا تأملنا قوله تعالىٰ: (ولا تأكلوها إسرافا وبدارا أن يكبروا) وجدنا كلمة (بدارا) قد جاءت علىٰ صيغة (فعال) وهي صيغة وضعت للدلالة في الأصل علىٰ المشاركة، والبدار: مصدر (بادره) وهو مفاعلة من البدر وهو العجلة إلىٰ الشيء، يقال بدره: عجله، وبادره: عاجله. (١)

وقد تعددت آراء العلماء في دلالة تلك الصيغة هنا:

الرأي الأول: أن صيغة (فعال) هنا بمعنىٰ (فعل) أي: حصول الفعل من فاعل واحد غير دالة علىٰ المشاركة. (٢) وهذا الرأي لا نميل إليه لأن الالتفات بين صيغ الأبنية له أسراره الخفية التي ينبغي التفتيش عنها والوقوف عليها.

الرأي الثاني: أن تلك الصيغة (فعال) جاءت للدلالة علىٰ المشاركة الاعتبارية، بمعنىٰ أنها حقيقة في جانب الأوصياء، ومجاز(٣) في جانب الأيتام، لأن الولي يبادر اليتيم قبل كبره ورشده، واليتيم يبادر إلىٰ الكبر والرشد ليستحق أن يأخذ ماله من يد الوصي.(٤)

الرأي الثالث: أن المفاعلة قصد منها تمثيل هيئة الأوصياء في إسرافهم في أكل أموال محاجيرهم عند مشارفتهم البلوغ، وتوقع الأولياء سرعة إبانه، بحال من يبادر غيره إلىٰ غاية، والآخر يبدر إليها فهما يتبادرانها، وكأن

(١) ينظر التحرير والتنوير ٤/ ٤٥٥

(٢) ينظر الدر المصون ٣/ ٥٨٥

(٣) وعليه يكون في كلمة (بدارا) مشاكلة في الجمع بين الحقيقة في جانب الأوصياء، والمجاز بالاستعارة في جانب الأيتام حيث شبه نمو اليتيم وكبره يوما بعد يوم، بالمسرع نحو هدفه ليبلغه بجامع وشك الاقتراب من الغاية في كل، ثم حذف المشبه، ثم استعير لفظ المشبه به له علىٰ سبيل الاستعارة التصريحية التبعية.

(٤) ينظر الدر المصون ٣/ ٥٨٥

المحجور عليه يسرع إلىٰ البلوغ ليأخذ ماله والوصي يسرع إلىٰ أكله لكيلا يجد اليتيم ما يأخذ منه، فيذهب يدعي عليه، ويقيم البينات حتىٰ يعجز عن إثبات حقوقه. (١)

وهذا ما يميل إليه الباحث، وإن كان الرأي الثاني له وجاهته أيضا ولا مانع من تعدد المعانىٰ علىٰ المحل الواحد، وهذا مما يكشف عن ثراء تلك الصيغ في القرآن الكريم.

وقد جاء المصدر (إسرافا وبدارا) في موضع اسم الفاعل مسرفين ومبادرين للإشارة إلىٰ شدة جشع أولئك الأوصياء، وللتحذير من أقل الإسراف في مال اليتيم وللتنبيه علىٰ أن أقل الإسراف والإهمال في مال اليتيم كأشد الإسراف في مال غيره لقلة حيلته وضعفه وكمال عجزه.

كما جاء (الأكل) في موضع الأخذ بغير الحق (٢) للتشنيع علىٰ الفاعل وبيان مدىٰ طمعه وجشعه، ولذلك قيد النهي عن الأكل بالإسراف والبدار، وليس القصد تقييد النهي بذلك، بل المقصود تشويه حال الأكل، وتشنيع ذلك الفعل ببيان أشنع الأحوال التي يقع فيها الأوصياء.(٣)

---

(١) ينظر التحرير والتنوير ٤/ ٢٤٤

(٢) حيث شبه الأخذ بالأكل بجامع شدة الشره والجشع والاستحواذ في كل ، ثم حذف لفظ المشبه واستعير لفظ المشبه به له علىٰ سبيل الاستعارة التصريحية التبعية في الفعل.

(٣) ينظر التحرير والتنوير ٤/ ٢٤٤

ومن ذلك أيضا قول الله- تبارك وتعالىٰ-: ﴿ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴾ (١)

جاءت تلك الآيات تحذيرا للناس من حبائل الشيطان، وتنبيها لهم علىٰ أنه لن يترك حيلة لإفسادهم إلا وسيتسلل إليهم منها، ولنا أن نتأمل تلك الأوامر المتتابعة (اذهب، استفزز، اجلب، شاركهم، عدهم) لتبين عن وفور همته، واكتمال عدته، كما تبين عن غاية التهديد وشدة الوعيد لشياطين الإنس والجن، لأنهم لن يفلت واحد منهم من العقاب.

والمتأمل يلحظ مجيء كلمة (شاركهم) علىٰ صيغة المفاعلة، والمفاعلة تقتضي المشاركة في الفعل من الجانبين، فهل الشيطان يريد أن يكون شريكا لبني آدم في أموالهم وأولادهم، وهل بنو آدم يريدون أن يشركوا الشيطان في شيء منها؟

لما كان الشريك يأمر شريكه بالأمر فيذعن له، وينزل علىٰ أمره ومشورته، ضرب به المثل في كل من يتدخل في أمر غيره، ولما كان الشيطان يريد أن يحمل الناس بوساوسه علىٰ اكتساب الأموال من الطرق المحرمة، وإنفاقها في الملذات والشهوات التي لا ترضي الله-عزوجل- فكأنه طالب بذلك مشاركتهم؛ لأنه يأمرهم بالأمر فيذعنون له، وينساقون وراءه.

والناس حينما يطيعونه، وينخدعون بوساوسه يصيرون كأنهم يطلبون مشاركته لهم في أمورهم، من أجل ذلك جاءت صيغة المفاعلة، يقول الإمام البقاعي: " لما كان الشيطان طالبا شركة الناس في جميع أمورهم بوساوسه

(١) سورة الإسراء الآيات (٦٤،٦٣)

الحاملة لهم علىٰ إفسادها، فإن أطاعوه كانوا طالبين لأن يشركوه، وإن كان لا شعور لهم بذلك، عبر بصيغة المفاعلة." (١)

ولنا أن نلاحظ قول الإمام البقاعي: (كانوا طالبين لأن يشركوه، وإن كان لا شعور لهم بذلك) ليشير إلىٰ أن تلك المشاركة مشاركة اعتبارية .(٢)

كما أن في التعبير بالمشاركة أيضا تمثيلا وتصويرا للمعنىٰ، حيث شبهت حال الشيطان حينما يوسوس للناس فيطيعونه، ويمتثلون له، بحال الشريكين لا يفعل أحدهما فعلا إلا بمشورة الآخر ورأيه، بجامع الحالة الدالة علىٰ شدة التلازم والارتباط بين الطرفين في كل، علىٰ سبيل الاستعارة التمثيلية.

وكفىٰ بذلك التمثيل تنفيرا وزجرا للمرء عن الانسياق وراء الشيطان، ومن ثم فقد حملت صيغة المفاعلة فيضا من الدلالات، ويصح علىٰ رأي السعد الجمع بين التمثيلية والتبعية، وقد حاول الباحث كشف اللثام عن شيء من ذلك.

---

(١) نظم الدرر ١١/ ٤٧٠

(٢) بأن يكون في (شاركهم) مجازان (استعارة تبعية، ومجاز مرسل) الأول: الاستعارة التبعية حيث شبه طلب الشيطان حظه من أمور الناس بوساوسه الحاملة لهم علىٰ إفسادها، بطلب المرء الشركة مع أخيه لينال حظه منها، بجامع طلب حظ النفس في كل، ثم حذف لفظ المشبه، واستعير لفظ المشبه به له علىٰ سبيل الاستعارة التصريحية التبعية في الفعل.

والمجاز الثاني: مجاز مرسل حيث عبر بطلب الشراكة عن الطاعة لأنه سببها، وجاء التعبير عن طاعة الناس للشيطان بطلب الشراكة له مشاكلة لطلب الشراكة من الشيطان للناس، وذلك للتنفير من أمر تلك المشاركة .

ومن ذلك أيضا قول الله-عزوجل-: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ (١)

يظن المنافقون أنهم حينما يظهرون الإيمان، ويبطنون الكفر سيخدعون بذلك المؤمنين، وفي الحقيقة هم لا يخدعون إلا أنفسهم؛ لأنهم لن ينتفعوا بهذا الإيمان الذي تظاهروا به يوم الحساب والجزاء.

والخداع هو: أن توهم غيرك خلاف ما تخفيه من المكروه؛ لتنزله عما هو فيه، وعما هو بصدده. (٢)

والمتأمل يجد أن الفعل (يخادعون) قد جاء علىٰ صيغة المفاعلة التي تكون بين اثنين والمعروف في المفاعلة أن يفعل كل طرف بالآخر مثل ما يفعله به، وصيغة المخادعة تقتضي أن يوقع المنافقون في علم الله-عزوجل- خلاف ما يريدونه من المكروه ويصيبونه وهذا مما لا خفاء في استحالته؛ لأنه سبحانه يعلم السر وأخفىٰ، ولا يخفىٰ عليه شيء في الأرض ولا في السماء.

كما تقتضي تلك الصيغة خداع الله إياهم بأن يوقع في أوهامهم خلاف ما يريده من المكاره ليغتروا، ثم يصيبهم بها.

وحمل اللفظ علىٰ حقيقته في جانب الله-عزوجل- ممتنع، لأنه يمتنع أن ينسب إلىٰ الله تعالىٰ حقيقة لما يوهم ظاهره من أنه إنما يكون عن عجز عن

---

(١) سورة البقرة الآيات (٨، ٩)

(٢) ينظر أنوار التنزيل وأسرار التأويل = تفسير البيضاوي تأليف/ ناصر الدين أبو سعيد عبدالله بن عمر الشيرازي البيضاوي ١/ ٤٤ المحقق/ محمد عبد الرحمن المرعشلي دار إحياء التراث العربي- بيروت الطبعة الأولىٰ .

المكافحة وإظهار المكتوم، ولذا زيد في تفسير الخداع مع استشعار خوف، أو استحياء من المجاهرة.[١]

من أجل ذلك تعددت آراء العلماء في معنى (المخادعة) ومجيئها على صيغة المشاركة في الآية على النحو الآتي:

الرأي الأول: أن يكون الخداع من المنافقين حقيقة بظنهم أن الحق – تبارك وتعالىٰ – ممن يصح خداعه، ويكون إسناد الخداع إلىٰ الله– عزوجل– مجازا عقليا علاقته المسببية، والمراد: يخدعون أولياءه. [٢]

الرد على هذا الرأي: وهذا الرأي لا يستقيم، لأن المنافقين من أهل الكتاب عالمون بأن الله–عزوجل–لا تخفىٰ عليه خافية، وإذا تحققوا من ذلك لم يقصدوه سبحانه، إذ العاقل لا يقصد ما تحقق امتناعه. كما أن إسناد الخديعة إلىٰ الله تعالىٰ والمراد أولياؤه (الرسول-ﷺ- والمؤمنون) لا يستقيم كذلك، إذ لا يليق بأن نجعلهم مخادعين مخادعين(بكسر الدال وفتحها) فتركه أولىٰ. [٣]

الرأي الثاني: أن يكون في لفظ (يخادعون) مشاركة اعتبارية، فيكون الخداع من المنافقين حقيقة بظنهم أن الله ﷻ عن ذلك علوا كبيرا ممن يصح خداعه وفي جانب الله–عزوجل– مجاز بالاستعارة [٤] علىٰ طريق المشاكلة. [٥]

---

(١) ينظر حاشية الشهاب ١/ ٣١٠

(٢) ينظر حاشية الشهاب ١/ ٣١١

(٣) ينظر السابق ١/ ٣١٠

(٤) حيث شبه تركهم و إمهالهم في الدنيا مع ما أعد لهم من العقاب والجزاء في الآخرة بالخداع بجامع الأخذ علىٰ غرة في كل، ثم حذف المشبه، واستعير له لفظ المشبه به، ثم اشتق من الخداع يخادع علىٰ سبيل الاستعارة التصريحية التبعية في الفعل وفيه مشاكلة لخداع المنافقين.

(٥) ينظر حاشية الشهاب ١/ ٣١١،٣١٢

الرد على هذا الرأي: ورد عليه بما رد علىٰ ما قبله من أن المنافقين من أهل الكتاب عالمون بأن الله-عزوجل- مطلع علىٰ سرائرهم عليم بهم، فلا يعقل أن يقصدوه - سبحانه - بما تحقق امتناعه عندهم واستحالته. (١)

الرأي الثالث: أن (يخادعون) بمعني: (يخدعون)، وجاء علىٰ صيغة المفاعلة قصدا للمبالغة في الكيفية. (٢) وهذا الرأي له وجاهته، ويبين عن الثراء الدلالي لصيغ المشاركة في الموضع الواحد لتعدد دلالاتها فيه.

الرأي الرابع: أن يكون في لفظ (يخادعون) استعارة تمثيلية، والذي سوغ مثل تلك الاستعارة في اللفظ المفرد هو دلالته علىٰ متعدد، حيث شبه حال صنيع المنافقين مع الحق- تبارك وتعالىٰ- ورسوله والمؤمنين من إظهار الإيمان واستبطان الكفر، وشأن صنيع الله تعالىٰ معهم من إجراء أحكام الإسلام عليهم وتركهم وإمهالهم استدراجا لهم مع ما أعد لهم من عذاب في الآخرة، ولم يخلهم في العاجل من فضيحة وإحلال بأس ونقمة ورعب دائم بحال صنيع المتخادعين علىٰ سبيل الاستعارة التمثيلية. (٣)

وهذا الرأي عندي رأي قوي ويبين كذلك عن الثراء الدلالي لصيغ المشاركة .

وهناك وجه آخر للاستعارة التمثيلية ذكره صاحب التحرير والتنوير- رحمه الله- وهو أن تكون صيغة المفاعلة علىٰ تأويل جعل أنفس المنافقين شقا ثانيا للمخادعة مع أن الأنفس هي عينهم، فتكون المخادعة مستعارة للمعاملة الشبيهة بفعل الجانبين المتخادعين بناء علىٰ ما شاع في وجدان الناس من الإحساس بأن الخواطر التي تدعو إلىٰ ارتكاب ما تسوء عواقبه

(١) ينظر حاشية الشهاب ١ / ٣١٢

(٢) ينظر تفسير أبي السعود ١/ ٤٠، والتحرير والتنوير ١/ ٢٧٦

(٣) ينظر الكشاف ١/ ٥٧٩ ، والبيضاوي ١/ ٤٤

أنها أفعال نفس، وهي مغايرة للعقل، وهي التي تسول للإنسان الخير مرة والشر مرة، وهو تخيل بني علىٰ خطابة أخلاقية لإحداث العداوة بين المرء وبين خواطره الشريرة بجعلها واردة عليه من جهة غير ذاته، بل من النفس حتىٰ يتأهب لمقارعتها ومدافعتها (١)، وعليه يكون في لفظ (يخادعون) استعارة تمثيلية وتجريد.(٢)

وهذا الرأي رأي جدير بالاعتبار لأنه جعل قضية الخداع قضية المنافق مع نفسه، وكل هذا يشير كما أسلفت آنفا عن الثراء الدلالي لتلك الصيغ.

ومنه كذلك قول الله-عزوجل-:﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴾ (٣)

وقوله تعالىٰ: ﴿ سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ﴾(٤)

فهاتان الآيتان تحثان المؤمنين علىٰ المبادرة إلىٰ الطاعات وصنوف البر، والناظر المدقق يجد أن الفعلين (سارعوا)، (سابقوا) قد جاءا علىٰ صيغة المفاعلة، والمراد ليس حث المؤمنين علىٰ مغالبة بعضهم بعضا في المبادرة إلىٰ الطاعات، ولكن المراد حثهم علىٰ عدم التباطؤ أو التثاقل إلىٰ الخيرات، فالمؤمن حينما يجد إلىٰ الطاعة مشمرا عن ساعد الجد إليها لا يريد بذلك

(١) ينظر التحرير والتنوير ١/ ٢٧٧

(٢) حيث شبهت حالهم مع أنفسهم وكل يزين أمر النفاق لصاحبه بحال المتخادعين بجامع الحال الدالة علىٰ إيهام خلاف الحق في كل .

(٣) سورة آل عمران آية (١٣٣)

(٤) سورة الحديد آية (٢١)

أن يسابق غيره، وإنما يسرع رغبة إلىٰ مرضاة ربه وطلبا لمغفرته ورحمته، علىٰ حد قوله تعالىٰ:﴿ وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴾ . (١)

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا: لم جاء هذان الفعلان علىٰ صيغة المفاعلة الدالة في الأصل علىٰ المشاركة في الموضعين السابقين؟

تعددت آراء العلماء في بيان المراد من صيغة المفاعلة في هذين الموضعين:

الرأي الأول: ذهب إلىٰ أن صيغة المفاعلة في الموضعين دالة علىٰ المشاركة الحقيقية، ولذا يقول صاحب البحر المحيط:" والمسارعة مفاعلة إذ الناس كل واحد منهم يسارع ليصل قبل غيره، فبينهم في ذلك مفاعلة." (٢) والمنافسة في الطاعة مقبولة، قال تعالىٰ:﴿ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴾ (٣) كالعبدين يتسابقان في خدمة مولاهما، إذ يجزع كل واحد أن يسبقه صاحبه فيحظىٰ عند مولاه بمنزلة لا يحظىٰ هو بها. (٤)

الرأي الثاني: أن المفاعلة مجاز عن المبالغة في الإسراع إلىٰ الطاعات، ولذا يقول صاحب روح البيان:" وأمرنا بالإسراع إلىٰ تلك الطريق علىٰ وجه المبالغة، فإن صيغة المفاعلة للمبالغة، وإنما أمرنا بمبالغة الإسراع لقلة عمر الدنيا." (٥)

وبذلك إذا تأملنا اللفظ (سابقوا) وجدناه يحتمل الحقيقة كما قال الرأي الأول، ووجدنا فيه مجازا عن المبالغة في الإسراع كما قال الرأي الثاني، كما

---

(١) سورة طه آية (٨٤)

(٢) البحر المحيط ٣/ ٣٤٥

(٣) سورة المطففين آية (٢٦)

(٤) ينظر تفسير مفاتيح الغيب ٣/ ٦٤٧

(٥) روح البيان ٩/ ٣٧٣

أنه فيه كذلك مجاز عن كمال الهمة ووفور النشاط إلىٰ العبادة وأفعال الخير بطريق الكناية، ولذا يقول صاحب التحرير والتنوير:" وهذا الأمر شامل لجميع المسابقات إلىٰ أفعال البر والمغفرة ونعيم الجنة، وشامل للمسابقة الحقيقية مع المجازية، علىٰ طريق استعمال اللفظ في حقيقته ومجازه." (١)

الرأي الثالث: أن المراد من صيغة المشاركة تمثيل حال المسرع إلىٰ الطاعات بحال الذي يسابق غيره في المضمار بجامع الحال الدالة علىٰ وفور الهمة وكمال النشاط وشدة الاجتهاد في كل، ولذا يقول الإمام الزمخشري:" سارعوا مسارعة المسابقين لأقرانهم في المضمار."(٢)، ويقول أيضا الإمام البقاعي:" افعلوا في السعي لها حق السعي فعل من يسابق شخصا فهو يسعىٰ ويجتهد حق الاجتهاد في سبقه."(٣) فأشار الإمامان إلىٰ معنىٰ التمثيل وإن كانا لم ينصا عليه.

ولا يكاد الباحث يميل إلى رأي من تلك الآراء فكلها تدل عليه صيغة المشاركة بثرائها الدلالي، ولا غرو فذلك غيض من فيض عطاءات تلك الصيغة في القرآن الكريم.

(١) التحرير والتنوير٢٧/ ٤٠٨

(٢)الكشاف ٤/ ٤٧٩

(٣) نظم الدرر ١٩/ ٢٩٢

ومن ذلك أيضا قول الله-عزوجل:﴿ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ ﴾(١)

الآية تحذير للخلق من أعظم الخسران إذ لا سبيل إلىٰ تعويضه، وذلك عندما ينكشف لكل امرئ يوم القيامة كم فرط وقصر في حق نفسه، وتتبين للكافر بدخوله النار خسارته العظمىٰ؛ لأنه حينها سيرىٰ منازله من الجنان لو كان قد آمن وقد ورثها المتقون يتفيؤون بأشجارها، ويتفكهون بملذاتها، ويتنعمون بفرشها.

والناظر يجد أن كلمة (التغابن) وهي علم علىٰ يوم القيامة قد جاءت علىٰ صيغة التفاعل التي الأصل فيها حصول الفعل الواحد من فاعلين فأكثر علىٰ وجه المشاركة في الفعل.

ومعنى التغابن: تفاعل من الغبن في المجازاة والتجارات، يقال: غبنه، يغبنه غبنا إذ أخذ الشيء منه بدون قيمته، أو هو أن تبخس صاحبك في معاملة بينك وبينه بضرب من الإخفاء والخداع.(٢)

وتدور مادة غبن على الخفاء، من مغابن الجسد وهي ما يخفىٰ عن العين، وسمي الغبن في البيع لخفائه عن صاحبه.(٣)

---

(١) سورة التغابن آية (٩)

(٢) ينظر المفردات في غريب القرآن لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني ص/ ٦٠٢ المحقق/ صفوان عدنان الداودي دار القلم- دمشق الطبعة الأولىٰ ١٤١٢ هـ

(٣) ينظر نظم الدرر ٢٠/ ١١٩

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا لم سمي يوم القيامة بيوم التغابن؟ ولم جاء علىٰ تلك الصيغة الدالة علىٰ المشاركة؟

تعددت آراء العلماء في دلالة صيغة التفاعل ومعناها في الآية:

الرأي الأول: أن صيغة التفاعل تدل علىٰ المشاركة الاعتبارية، وهو رأي جمهور المفسرين، والمعنىٰ: أن أهل الجنة غبنوا أهل النار لنزولهم منازلهم التي كانوا ينزلونها لو كانوا سعداء، ونزول أهل النار منازل أهل الجنة من النار لو كانوا أشقياء [(١)]، ولكن لا يستقيم ذلك باعتبار الأشقياء ذلك لأنهم لا يغبنون السعداء بنزولهم منازلهم من النار إلا بطريق المشاكلة والاستعارة التهكمية. [(٢)]

الرأي الثاني: أن صيغة التفاعل مجاز عن الكثرة والشدة في الفعل[(٣)] للإشارة إلىٰ فداحة الغبن وعظمه يوم القيامة؛ لان الحياة فيه دائمة والكسر فيه لا ينجبر، وتعاضد مع ذلك مجيء القصر بتعريف الطرفين قصرا حقيقيا ادعائيا، أي ذلك يوم التغابن لا أيام أسواقكم ولا غيرها، وذلك لأنه إذا قيس الغبن في الدنيا بالغبن في ذلك اليوم فكأنه لا غبن لشدته وفداحته وعظم الخطب المترتب عليه.[(٤)]

---

(١) ينظر الكشاف ٤/ ٥٤٨

(٢) حيث شبه مبادلة أهل النار أهل الجنة منازلهم في الجنة التي كانوا ينزلونها لو كانوا من السعداء بمنازل أهل الجنة من النار التي كانوا ينزلونها لو كانوا من الأشقياء بالتجارة التي يغبن فيها أحد المتبايعين الآخر علىٰ سبيل الاستعارة التهكمية، بجامع التضاد المنزل منزلة التناسب، وجعل ذلك مشاكلة للتغابن الأول.

(٣) ينظر المحرر الوجيز ٥/ ٣١٩

(٤) ينظر التحرير والتنوير٢٨/ ٢٧٧

الرأي الثالث: أن صيغة التفاعل جاءت لتمثيل حال الفريقين السعداء والأشقياء بحال المتبايعين أخذ أحدهما الثمن الوافي، وأخذ الآخر الثمن المغبون بجامع الحال الدالة علىٰ مبادلة كل واحد ما في يده بما في يد غيره ظنا منه أنه يغبن فيه صاحبه، ولذا يقول الإمام القرطبي:" فإن قيل: أي معاملة وقعت بينهما حتىٰ يقع الغبن فيها، قيل له: هو تمثيل الغبن في الشراء والبيع، فيحصل الموفق علىٰ منزل المخذول، ومنزل الموفق في النار للمخذول، فكأنه وقع التبادل، فحصل التغابن، والأمثال موضوعة للبيان في حكم اللغة والقرآن." (١)

وأيا ما كان فالمعاني كلها تحتملها تلك الصيغة، وتدل عليها، وتشير إليها، وذلك من الثراء الدلالي لتلك الصيغ، وكيف لا وقد جاءت في كلام الله المعجز؟!

❁❁❁❁❁

(١) الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي ١٨/ ١٣٧ تحقيق/ أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش دار الكتب المصرية- القاهرة الطبعة الثانية ١٣٨٤ هـ / ١٩٦٤.

المبحث الرابع:

التعبير بصيغتي المشاركة (المفاعلة والتفاعل) والفاعل واحد للدلالة على المبالغة في الفعل

هذا، وقد تأتي صيغ المشاركة غير دالة علىٰ حصول الفعل من فاعلين حقيقة (المشاركة الحقيقية)، أو حصول الفعل من فاعلين أحدهما حقيقة والآخر مجاز(المشاركة الاعتبارية)، وإنما تأتي والفاعل واحد للدلالة علىٰ المبالغة في الفعل بطريق المجاز أو الكناية.

ومن ذلك كقول القائل لصاحبه: **عافاك الله**.

ففاعل المعافاة هو الحق- تبارك وتعالىٰ- لا غير، وجاء الفعل الدال علىٰ الدعاء علىٰ صيغة المفاعلة للدلالة علىٰ المبالغة في المعافاة، يقول صاحب التحرير والتنوير:" وأصل هذه الصيغة أن تدل علىٰ حصول الفعل من جانبين مثل: خاصم، وقد تستعمل للدلالة علىٰ قوة الفعل." (١)

ومنه كذلك قول امرئ القيس:

فعادى عداء بين ثور ونعجة دراكا ولم ينضح بماء فيغسل (٢)

حيث جاء الفعل (عادىٰ) غير دال علىٰ المشاركة، ولكن جاء دالا علىٰ المبالغة في العدو، فهو كما يقول العلماء: مسلوب المفاعلة أي: المشاركة.(٣)

ومنه أيضا قول القائل: **تواضع القائد، وتحامل على نفسه**.

---

(١) التحرير والتنوير ٢/ ٣٣٧

(٢) ديوان امرئ القيس رواية الأصمعي من نسخة الأعلمص/ ٢٢ المحقق / محمد أبو الفضل إبراهيم دار المعارف الطبعة الرابعة ١٩٨٤ م

(٣) ينظر التحرير والتنوير ١/ ٥١٩

حيث جاء الفعلان (تواضع، وتحامل) علىٰ صيغة التفاعل غير الدالة علىٰ المشاركة ولكن دلت علىٰ المبالغة في اتصاف القائد بالتواضع، والتحامل علىٰ نفسه، وأنه لما كان متصفا بهما أكثر من غيره فكأنه يبارىٰ غيره فيهما، فجاءت علىٰ المغالبة المقتضية للمبالغة.

وقد اشتم العلماء من تلك الصيغ الدلالة علىٰ المبالغة وقوة الفعل لأجل ما فيها من معنىٰ المغالبة، ولذا يقول صاحب الدر المصون:" إن بناء المفاعلة يشعر بالمبالغة لأنه للمغالبة." (١)

وتلك الصيغ حينما تدل علىٰ المبالغة تفيد ذلك بطريق الكناية أو المجاز، ولذا قيل:" وتجيء (صيغ المشاركة) لإفادة قوة الفعل من الفاعل نحو قولهم: عافاك الله، وذلك إما كناية أو مجاز." (٢)

فالكناية لأنه يلزم من اشتراك أكثر من فاعل في فعل واحد قوة هذا الفعل؛ لأن المفاعلة تكون بين اثنين يغالب كل منهما الآخر، فيلزم من ذلك أن يكون الفعل أقوىٰ. (٣)

أو أن تكون تلك الدلالة مجازا بطريق الاستعارة بتشبيه الفعل القوي المبالغ فيه بالفعل الحاصل بين فاعلين، بجامع قوة الفعل وشدته في كل، ثم حذف المشبه، واستعير لفظ المشبه به له، ثم اشتق منه الفعل علىٰ صيغة المفاعلة للدلالة علىٰ المبالغة علىٰ سبيل الاستعارة التصريحية التبعية في الفعل. (٤)

---

(١) الدر المصون ٩/ ٤٣٠

(٢) التحرير والتنوير ٣٠/ ٨

(٣) ينظر نظم الدرر ٢١/ ١٢

(٤) ينظر التحرير والتنوير ١/ ٥٩١

أو أن تكون تلك الدلالة مجازا مرسلا علاقته الملزومية حيث عبر بالملزوم وهو الصيغة الدالة علىٰ المغالبة، والمراد لازمها وهو المبالغة في الفعل والاجتهاد فيه؛ لأن من يغالب يجتهد كل الاجتهاد ولذا قيل:" المفاعلة واختياره لمجانسته المبالغة؛ لأن التفاعل يكون بين اثنين يجتهد كل منهما في غلبة الآخر، فيقتضي بذل المقدور والتناهي فاستعمل في لازمه للمبالغة دون قصد المغالبة."(١)

وشواهد ذلك كثيرة ومتعددة في القرآن الكريم، ومنه قول الحق تبارك وتعالىٰ: ﴿ سُبْحَانَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَـٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَـٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾(٢)

تتحدث تلك الآية عن معجزة إسراء الله-عزوجل – بنبيه-ﷺ- من المسجد الحرام إلىٰ المسجد الأقصىٰ المبارك ليريه من آياته ودلائل قدرته.

وإذا عاودنا النظر عودة متأمل نجد أن كلمة (باركنا) قد جاءت علىٰ صيغة المفاعلة لأن المصدر(مباركة)، وتلك الصيغة هنا غير دالة علىٰ المشاركة، وإنما دالة علىٰ بلوغ البركة لتلك البقعة مبلغا عظيما، وكيف لا؟! وقد منَّ الله عليها ببركات الدين والدنيا؛ فهي مهبط الوحي، ومتعبد الأنبياء-عليهم السلام- من لدن موسىٰ-عليه السلام- كما أن لتلك البقعة بركة بوفرة الثواب للمصلين فيها، وبإجابة الدعاء للداعين فيها، كما منَّ الله عليها

(١) حاشية الشهاب ٦/ ٨٦

(٢) سورة الإسراء آية (١)

بالخصب وسعة الأرزاق للناس، ولذا يقول صاحب التحرير والتنوير:" وصيغة المفاعلة هنا للمبالغة في تكثير الفعل مثل: عافاك الله." (١)

تعاضد مع ذلك التعبير بالاسم الموصول(الذي باركنا حوله) للدلالة علىٰ شهرة الموصوف بتك الصفة عند السامعين، فدل علىٰ عظم بركته ووفور خيره.

كذلك التعبير بضمير العظمة(باركنا)، والتعبير بالظرف (حوله) الذي لوح بعموم هذه البركات وامتدادها لكل ما يحيط بالمسجد الأقصىٰ.

ومنه أيضا قول الله تعالىٰ: ﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضۡعَافًا كَثِيرَةً وَٱللَّهُ يَقۡبِضُ وَيَبۡصُۜطُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴾ (٢)

وقوله تعالىٰ: ﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجۡرٌ كَرِيمٌ ﴾(٣)

هاتان الآيتان ترغبان المؤمنين في الإنفاق، وتحببانهم في البذل والعطاء، وقد توالت فيهما المحفزات والمحرضات علىٰ ذلك، ومنه تسمية الإنفاق قرضا(٤)، ومن ذا الذي يبخل عن إقراض مولاه الغني الحميد الذي يأخذ النفقة من صاحبها، فيضاعفها له ويغفر له بها سيئاته، ويرضىٰ عنه، ويشكر له؟!

---

(١) التحرير والتنوير ١٥/ ١٩

(٢) سورة البقرة آية (٢٤٥)

(٣) سورة الحديد آية (١١)

(٤) حيث شبه البذل لأجل الجزاء بالقرض وهو إسلاف المال ونحوه بنية إرجاع مثله، ثم حذف المشبه، ثم استعير لفظ المشبه به له، ثم اشتق منه يقرض بمعنىٰ ينفق ويتصدق علىٰ سبيل الاستعارة التصريحية التبعية في الفعل.

هذا وقد جاء التعبير بقوله:(فيضاعفه) وهو ترشيح لاستعارة الإقراض للتصدق والإنفاق لمزيد ترغيب الناس وحثهم علىٰ الإنفاق؛ لأنهم إن علموا أن هذا القرض سيجلب لهم نفعا عظيما كانوا أحرص ما يكونوا عليه، والتعبير بالفعل (فيضاعفه) كما يدل بمادته علىٰ التضعيف وهو إعطاء مثل الشيء في الذات أو الصفة[١]، يدل بصيغته وهي المفاعلة علىٰ المبالغة والتكثير لجزاء الإنفاق، يقول صاحب نظم الدرر:" مرغبا فيه بجعله مبالغا بالتضعيف أولا، وجعله علىٰ باب المفاعلة ثانيا." [٢]

يتعانق مع هذا المعنىٰ قراءة ابن كثير وابن عامر(فيضعّفه) بالتشديد لما فيه من دلالة علىٰ المبالغة والتكثير.[٣]

ثم زاد الأمر حثا و ترغيبا فقال سبحانه:(أضعافا كثيرة) بتنكير كلمة (أضعافا) وجمعها، ووصفها بالكثرة للإشارة بأن كثرة تلك الأضعاف لا يقدرها إلا الله- تبارك وتعالىٰ- فسبحان المنعم المتفضل علىٰ عباده أكرمهم بأن رزقهم، ثم أكرمهم بأن أثابهم علىٰ إنفاقهم من رزقه لهم.

هذا، وقد استحضر الله-عزوجل- من ينفق، وأنزله منزله الحاضر فكأنه سارع بالامتثال، فصار يسأل عن تعيينه اهتماما بالفعل الواقع منه، وإعجابا بصنيعه، وتعظيما له.

كل ذلك وغيره قد انتظم في سلك واحد لتحفيز وتحريض المؤمنين علىٰ الإنفاق والتصدق والعطاء في سبيل الله-عزوجل-.

---

(١) ينظر التحرير والتنوير ٢٨/ ٢٩٠

(٢) نظم الدرر ١٩/ ٢٧١

(٣) ينظر المحرر الوجيز ١/ ٣٢٩

ومن ذلك أيضا قول الله- تبارك وتعالىٰ-:"﴿ حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴾ (١)

وقوله تعالىٰ:" ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمۡ يُحَافِظُونَ ﴾ (٢)

في الآية الأولىٰ أمر الله-عزوجل- عباده بالمحافظة علىٰ الصلوات المفروضة والمواظبة عليها بآدائها علىٰ أكمل وجه وأتمه، وفي الآية الثانية أثنىٰ الله-عزوجل- علىٰ عباده المؤمنين بأنهم يحافظون علىٰ صلاتهم ويعتنون بها من أن يعتريها شيء يخل بكمالها.

والمتأمل الآيتين السابقتين يجد أن الفعلين (حافظوا)و(يحافظون)قد جاءا علىٰ صيغة المفاعلة فما السر وراء مجيئه علىٰ تلك الصيغة الدالة علىٰ المشاركة؟

ذهب جماعة من العلماء إلىٰ إن صيغة المفاعلة علىٰ حقيقتها من الدلالة علىٰ المشاركة الحقيقية، وقالوا: إن (فاعل علىٰ بابها) من كونها بين العبد وربه، كأنه قيل: احفظ هذه الصلاة يحفظك الله. ولذا يقول صاحب البحر المحيط:" وقد رام بعضهم أن يبقىٰ (فاعل) علىٰ معناها الأكثر فيها وهو الاشتراك بين الاثنين، فجعل المحافظة بين العبد وبين الرب." (٣)

وأرى أن هذا الرأي بعيد، وقد نستشعر ذلك من كلام الإمام أبي حيان الأندلسي.

(١) سورة البقرة آية (٢٣٨)

(٢) سورة المؤمنون آية (٩)

(٣) البحر المحيط ٢/ ٥٤٣

وذهب آخرون إلى أن المشاركة اعتبارية حكمية [١]، وذلك لكونها بين العبد والصلاة أي: احفظ الصلاة تحفظك؛ لأن الصلاة لما كانت سببا في حفظ العبد أسند إليها الحفظ مجازا مشاكلة لحفظ العبد لها ليكون الجزاء من جنس العمل.[٢]

بينما الذي عليه أكثر العلماء أن صيغة المفاعلة قد جاءت في الآيتين للدلالة علىٰ المبالغة في الحفظ للصلاة والعناية بها، والدلالة علىٰ غاية العزيمة من العبد في رعاية أوقاتها وأركانها وشروطها، والحرص علىٰ كل ما تحصل به العبادة علىٰ أكمل وجه وأحسنه ولذا يقول الإمام أبو السعود:" أي: داوموا علىٰ آدائها لأوقاتها من غير إخلال كما تنبئ عنه صيغة المفاعلة المفيدة للمبالغة." [٣]

ويقول صاحب التحرير والتنوير:" والمحافظة مستعملة في المبالغة في الحفظ، إذ ليست المفاعلة هنا حقيقية." [٤]

ولا شك أن الثراء الدلالي لتلك الصيغة قد أهلها للدلالة على كل تلك المعاني، هذا وإن كنت أميل إلى الرأي الأخير.

---

(١) وعليه يكون جمع في (حافظوا)و(يحافظون) بين الحقيقة والمجاز، الحقيقة في حفظ الإنسان للصلاة، والمجاز في حفظ للصلاة للإنسان علىٰ سبيل المجاز العقلي الذي علاقته السببية لأنها لما كانت سببا في حفظ الانسان أسند الحفظ إليها مشاكلة لحفظ الإنسان للصلاة.

(٢) ينظر الدر المصون ٢/ ٤٩٨

(٣) تفسير أبي السعود ١/ ٢٣٥

(٤) التحرير والتنوير ١٨/ ١٨

ومن ذلك أيضا قول الله تعالىٰ: " ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾"(١)

وقوله تعالىٰ:" ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِىٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًا ﴾(٢)

وقوله تعالىٰ:" ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴾"(٣)

وقوله تعالىٰ:" ﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾(٤)

فالمتأمل كل تلك الآيات وغيرها يجد أنها قد بدئت بالفظ الدال علىٰ إنشاء المدح والثناء علىٰ الحق سبحانه وهو لفظ (تبارك) الذي جاء علىٰ صيغة (التفاعل)، وقد جاءت في كل تلك الآيات قبل ذكر النعم، وهناك من الآيات التي جاءت فيها عقب ذكر النعم، ومنها:

قوله تعالىٰ:" ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (٥)

(١) سورة الفرقان آية (١)

(٢) سورة الفرقان آية (١٠)

(٣) سورة الفرقان آية (٦١)

(٤) سورة الملك آية (١)

(٥) سورة الأعراف آية (٥٤)

وقوله تعالىٰ:" ﴿ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴾ (١)

وقوله تعالىٰ:" ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾(٢)

وإذا ما وقفت لأستشعر بعض دلالات ذلك اللفظ وعطاءاته كان أول ما ألحظ أن كلمة (تبارك) مأخوذة من البركة، ومعناها: النماء والزيادة (٣)، وقد جاءت علىٰ صيغة التفاعل، و ذكر الإمام الزمخشري لها معنيين:

الأول: تزايد خير الله-عزوجل- وتكاثره.

الثاني: أن الحق-ﷻ- تزايد عن كل شيء وتعالىٰ عنه في صفاته وأفعاله. (٤)

والمعنيان مرادان، وهي دائما ما تقترن بذكر النعم والأمر المعجب، قال ابن برجان:" تبارك: تفاعل من البركة، ولا يكاد يذكره جل ذكره إلا عند الأمر المعجب." (٥)

---

(١) سورة المؤمنون (١٤)

(٢) سورة غافر آية (٦٤)

(٣) مختار الصحاح المؤلف/ زين الدين أبو عبدالله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي مادة: برك المحقق/ يوسف الشيخ محمد المكتبة العصرية- بيروت- صيدا الطبعة الخامسة ١٤٢٠ هـ/ ١٩٩٩م

(٤) ينظر الكشاف ٣/ ٢٦٢

(٥) نظم الدرر ١٩/ ١٩٤

وقد جاءت علىٰ صيغة التفاعل للدلالة علىٰ قوة الفعل إذ تلك الصيغة تستعمل مجازا [1] للدلالة علىٰ قوة ما اشتق منه الفعل.[2]

ولذا يقول صاحب التحرير والتنوير:" وتبارك خبر مستعمل في إنشاء المدح؛ لأن معنىٰ تبارك: كان متصفا بالبركة اتصافا قويا لما تدل عليه صيغة التفاعل من قوة حصول المشتق منه لأن أصلها أن تدل علىٰ صدور الفعل من فاعلين مثل: تقاتل وتمارىٰ، فاستعملت في مجرد تكررالفعل مثل: تسامىٰ، وتعالىٰ." [3]

ومن أجل ما تفيده تلك الصيغة من قوة لمعنىٰ ما اشتقت منه كانت أدل علىٰ غاية الكمال والإشعار بإنشاء التعجب المناسب للمقام، والإنباء عن نهاية التعظيم والتقديس والتنزيه.

ومن ذلك أيضا قول الله-عزوجل-:﴿ ٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَحۡمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلۡأَرۡحَامُ وَمَا تَزۡدَادُۖ وَكُلُّ شَيۡءٍ عِندَهُۥ بِمِقۡدَارٍ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡكَبِيرُ ٱلۡمُتَعَالِ ﴾[4]

(١) ينظر التحرير والتنوير ٢٤/ ١٩١

(٢) حيث شبه الفعل المراد بيان قوة ما اشتق منه بالفعل الذي يغالب صاحبه غيره فيه؛ لأنه يكون أحرص علىٰ أن يكون الأكثر منه عنده، بجامع كثرة ذلك الفعل وزيادته زيادة بينة وقوته في كل، ثم حذف المشبه، ثم استعيرت صيغة التفاعل للدلالة عليه، ثم اشتق منه الفعل علىٰ سبيل الاستعارة التصريحية التبعية .

(٣) التحرير والتنوير ٢٥/ ٢٦٨

(٤) سورة الرعد الآيات (٨،٩)

وقوله سبحانه: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۗ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ ۚ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾(١)

وقوله سبحانه: ﴿ قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّابْتَغَوْا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴾(٢)

فالمتأمل كل تلك الآيات وغيرها يلحظ أن الكلمات (المتعال)، (تعالىٰ)قد جاءت علىٰ صيغة التفاعل من العلو.

ومعنىٰ تعالىٰ: ارتفع، وتنزه عن نعوت المخلوقات، والمراد بالرفعة هنا المجاز عن العزة التامة بحيث لا يستطيع موجود أن يغلبه، أو المنزه عن النقائص.(٣)

وعليه ففي (تعالىٰ) استعارة تصريحية تبعية، حيث شبهت العزة التامة بالارتفاع بجامع السمو والبعد عن النقائص في كل، ثم حذف المشبه، ثم استعير لفظ المشبه به له، ثم اشتق منه (تعالىٰ) علىٰ سبيل تلك الاستعارة.

وقد جاءت علىٰ صيغة التفاعل لتكون أدل علىٰ قوة المعنىٰ، ولذا يقول الإمام البقاعي:"(٤)وإن أتىٰ علىٰ صيغة التفاعل إيذانا بالمبالغة." وبذلك يكون قد اجتمع في هذه الكلمة مجازان أحدهما في مادة الكلمة، والآخر في بنيتها.

---

(١) سورة النمل آية (٦٣)

(٢) سورة الإسراء الآيات (٤٣،٤٢)

(٣) ينظر التحرير والتنوير ١٣/ ٩٨

(٤) نظم الدرر ١٥/ ١٠٤

وكأن تلك الصيغة قد جاءت لتغالب جميع عقول الخلق في الدلالة علىٰ كمال اتصاف الحق بالرفعة والتنزيه والتقديس، أي أن هذا العلو وتلك الرفعة لا يمكن بحال أن تتصوره العقول وتصل إليه بحال مهما اجتهدت في ذلك كل الاجتهاد.

ومثل تبارك وتعالىٰ (تسامىٰ)، و(تعاظم)، ولذا يقول صاحب مرقاة المفاتيح:" تعاظم: تفاعل بمعنىٰ المبالغة؛ لأن زيادة المبنىٰ تدل علىٰ زيادة المعنىٰ، فإن الفعل إذا جرىٰ بين اثنين يكون أشق من مزاولته وحده، ولذا قيل: المفاعلة إذا لم تكن للمغالبة فهي للمبالغة." (١)

هذا، والشواهد غير ذلك كثيرة.

❁❁❁❁❁

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح علىٰ بن سلطان محمد أبو الحسن نورالدين الملا الهروي القاري ١/ ١٣٧ دار الفكر- بيروت – لبنان الطبعة الأولىٰ ١٤٢٢ هـ/ ٢٠٠٢م

الخـــاتمـــة

ذاك كان جهد الباحث الذي حاول به كشف النقاب عن إحدىٰ قدرات تلك اللغة الفذة من خلال البحث في صيغتي المشاركة (المفاعلة والتفاعل) والوقوف علىٰ مدىٰ ثرائهما الدلالي، ويمكن بعد هذا العرض والتحليل أن نجمل أهم نتائج تلك الدراسة فيما يأتي:

(١)صيغ المشاركة صيغ ذات ثراء دلالي، فالمشاركة الحقيقية، والمشاركة الاعتبارية، والتمثيل، والمبالغة، كل تلك معان تستطيع الدلالة عليها والإبانة عنها.

(٢)قد يكون لصيغ المشاركة أكثر من دلالة في الموطن الواحد، وكلها مرادة ومعتبرة.

(٣)قد تجتمع الحقيقة والمجاز في كلمة واحدة، إذ الباحث يميل للرأي القائل بجواز الجمع بين الحقيقة والمجاز.

(٤)قد يجتمع في الكلمة الواحدة مجازان، أحدهما في مادة الكلمة، والآخر في بنية الكلمة.

(٥)قد تأتي المشاكلة بين لفظين قد عبر عنهما بلفظ واحد كما في صيغ المشاركة.

(٦)صيغ المشاركة لما كانت تدل علىٰ متعدد كانت قادرة علىٰ التمثيل.

(٧)قد تأتي صيغ المشاركة مسلوبة معنىٰ المشاركة، فتدل حينئذ علىٰ المبالغة مجازا.

وبعد فإني أسأل الله-عزوجل- أن أكون قد وفقت في عرض وتحليل ودراسة هذا الموضوع، وأن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم، والله

من وراء القصد وهو حسبي ونعم الوكيل.

كما أسأله سبحانه الخير كل الخير لآبائنا، وأمهاتنا، وأساتذتنا، ومعلمينا ومشايخنا، وأزواجنا، وذرياتنا، وجميع من لهم حق علينا، والمسلمين أجمعين، إنه سميع قريب.

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ﴾

[سورة الأعراف:٤٣].

وصل اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الفهارس:

أولا: ثبت المصادر والمراجع

(١)إرشاد العقل السليم إلىٰ مزايا الكتاب الكريم = تفسير أبي السعودلأبي السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفىٰ دار إحياء التراث العربي – بيروت .

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل = تفسير البيضاوي تأليف/ ناصر الدين أبو سعيد عبدالله بن عمر الشيرازي البيضاوي المحقق/ محمد عبد الرحمن المرعشلي دار إحياء التراث العربي– بيروت الطبعة الأولىٰ .

(٣) البحر المحيط لأبي حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان بن أثير الدين الأندلسي تحقيق / صدقي محمد جميل دار الفكر بيروت ١٤٢٠ هـ.

(٤) تاج العروس المؤلف: محمد بن محمد بن عبد الرازق الحسيني أبو الفيض الملقب بمرتضىٰ الزبيدي تحقيق / مجموعة من المحققين دار الهداية.

(٥) التحرير والتنوير للمؤلف / محمد الطاهر بن عاشور التونسي الدار التونسية للنشر – تونس ١٩٨٤ هـ.

(٦) تيسير الرحمن في تفسير كلام المنان المؤلف / عبد الرحمن بن ناصر بن عبدالله السعدي المحقق / عبد الرحمن بن معلىٰ اللويحق الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة الأولىٰ ١٤٢٠ هـ/ ٢٠٠٠م .

(٧)الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي تحقيق/ أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش دار الكتب المصرية– القاهرة الطبعة الثانية ١٣٨٤ هـ/ ١٩٦٤.

(٨)حاشية الشهاب علىٰ تفسير البيضاوي، المسماة: عناية القاضي وكفاية الراضي علىٰ تفسير البيضاوي المؤلف/ شهاب الدين بن محمد بن أحمد الخفاجي المصري الحنفي دار النشر:دار صادر–بيروت.

(٩)الخصائص لأبي الفتح عثمان بن جني الموصلي الهيئة المصرية العامة للكتاب الطبعة الرابعة .

)١٠) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون لأبي العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبيالمحقق الدكتور / أحمد محمد الخراط دار القلم – دمشق.

(١١) ديوان امرئ القيس رواية الأصمعي من نسخة الأعلمالمحقق / محمد أبو الفضل إبراهيم دار المعارف الطبعة الرابعة ١٩٨٤ م.

(١٢) روح البيان لإسماعيل حقي بن مصطفىٰ الإستنابولي الخلوتي المولىٰ أبو الفداء دار الفكر بيروت .

(١٣) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني المؤلف/ شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي المحقق/ علي عبد الباري عطية دار الكتب العلمية– بيروت الطبعة الأولىٰ ١٤١٥ هـ.

(١٤)الشافية في علمي التصريف والخط لعثمان بن عمر بن أبي بكر يونس أبو عمرو جمال الدين ابن الحاجب الكردي المالكيالمحقق الدكتور/ صالح عبد العظيم الشاعر مكتبة الآداب الطبعة الأولي ٢٠١٠ م .

(١٥) شذا العرف في فن الصرف تأليف / أحمد بن محمد الحملاوي ص/ ٣٠، ٣١ المحقق / نصر الله عبد الرحمن نصرالله مكتبة الرشد – الرياض .

(١٦) شرحا أبي العلاء والخطيب التبريزي علىٰ ديوان أبي تمام دراسة صرفية المؤلف / إيهاب عبد الحميد عبد الصادق سلامة رسالة ماجستير -كلية دار العلوم – جامعة القاهرة بإشراف د/ محمد جمال صقر .

(١٧) شرحان علىٰ مراح الأرواح في علم الصرف لشمس الدين أحمد المعروف بديكنقوز صاحب (شرح مراح الأرواح) ، وابن كمال باشا صاحب (الفلاح في شرح المراح) مكتبة ومطبعة مصطفىٰ البابي الحلبي وأولاده – بمصر الطبعة الثالثة:١٣٧٩ ﻫ/ ١٩٥٩م

(١٨) الكشاف عن غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للإمام / جار الله محمود بن عمر الزمخشري دار الكتاب العربي – بيروت الطبعة الثالثة ١٤٠٧ ﻫ.

(١٩) لسان العرب لابن منظور دار المعارف .

(٢٠) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي ٥/ ٢٩٩المحقق / عبد السلام عبد الشافي محمد دار الكتب العلمية – بيروت – الطبعة الأولىٰ ١٤٤٢ ﻫ.

(٢١) مختار الصحاح المؤلف/ زين الدين أبو عبدالله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي ص / ٣٣ المحقق/ يوسف الشيخ محمد المكتبة العصرية- بيروت- صيدا الطبعة الخامسة ١٤٢٠ ﻫ/ ١٩٩٩م.

(٢٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح علىٰ بن سلطان محمد أبو الحسن نورالدين الملا الهروي القاري ١/ ١٣٧ دار الفكر- بيروت – لبنان الطبعة الأولىٰ ١٤٢٢ هـ/ ٢٠٠٢م .

(٢٣) معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي المؤلف / محيي السنة، أبو محمد، الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي ١/ ١١٦ المحقق / عبد الرازق المهدي دار إحياء التراث العربي –بيروت الطبعة الأولىٰ ١٤٢٠ هـ.

(٢٤) مفاتيح الغيب = التفسير الكبير لأبي عبدالله، محمد بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي، الملقب بفخر الدين الرازي، خطيب الري دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة الثالثة ١٤٢٠ هـ .

(٢٥) المفردات في غريب القرآن لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني ص/ ٦٠٢ المحقق/ صفوان عدنان الداودي دار القلم- دمشق الطبعة الأولىٰ ١٤١٢ هـ.

(٢٦) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور = تفسير البقاعي المؤلف / إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي ٨/ ٢٣٨ دار الكتاب الإسلامي – القاهرة .

❁❁❁❁❁

ثانيا: فهرست الموضوعات

الموضـــوع	الصفحة
المقدمة	٧
التمهيد	١٠
❁ صيغتا المشاركة (المفاعلة والتفاعل)	١٠
❁ دلالة صيغة (فاعل) علىٰ المشاركة.	١٠
❁ دلالة صيغة (تفاعل) علىٰ المشاركة .	١١
❁ الفرق بين (فاعل) و(تفاعل) في الدلالة علىٰ المشاركة.	١٢
المبحث الأول: التعبير بصيغتي المشاركة (المفاعلة والتفاعل) للدلالة علىٰ حصول الفعل من فاعلين حقيقة.	١٣
دلالة صيغتي المشاركة (المفاعلةوالتفاعل)علىٰ التكرار.	٢٢
المبحث الثاني: التعبير بصيغتي المشاركة للدلالة علىٰ المشاركة الحكمية الاعتبارية.	٢٥
المبحث الثالث: التعبير بصيغتي المشاركة (المفاعلة والتفاعل) للدلالة علىٰ التمثيل.	٤٠
المبحث الرابع: التعبير بصيغ المشاركة والفاعل واحد للدلالة علىٰ المبالغة في الفعل	٥٦
الخاتمة	٦٨
الفهارس	٧٠
أولا: ثبت المصادر والمراجع	٧٠
ثانيا: فهرس الموضوعات	٧٤

❁❁❁❁❁